عثمان الكعّاك

الرّحلة الشابّيّة

(1966)

حققها وقدم لها وأعدها للنشر

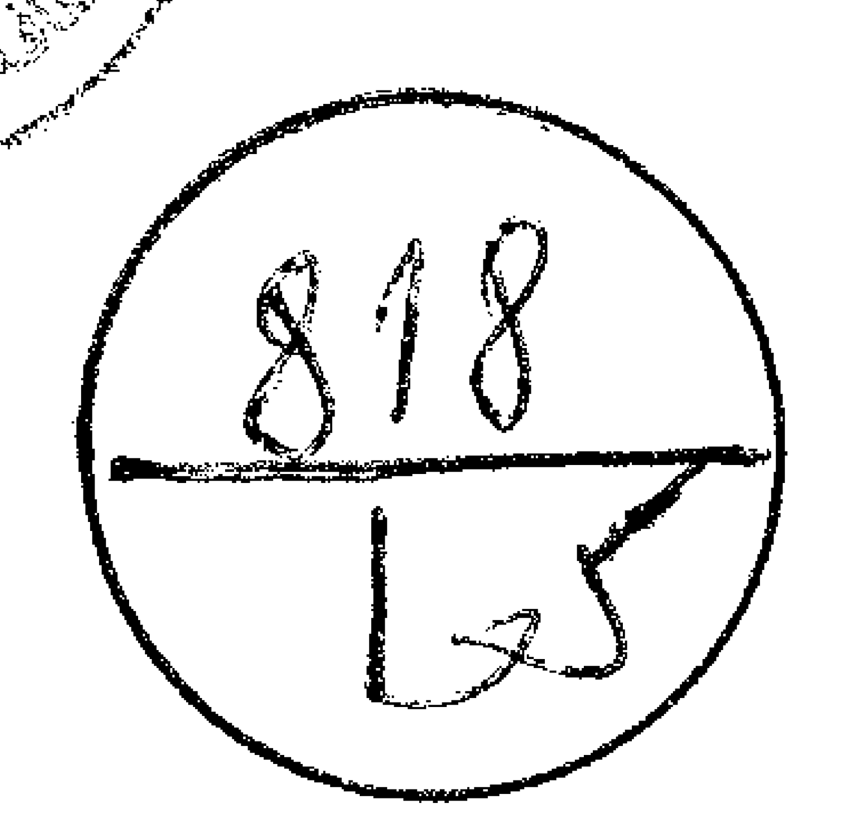
محمّد رؤوف بلحسن



الرّحلة

الرّحلة الشابّيّة





الرّحلـة الشّابيّـة

(1966)

حققها وقدم لها وأعدها للنشر

محمّد رؤوف بلحسن

تونس 2009

مائوية أبي القاسم الشابي

مقدمة الكتاب

سببان اثنان كانا وراء الإقدام على نشر «الرحلة الشّابيّة» والتقديم لها. السبب الأول مباشر وهو متصل دون شك بالمائوية التي أقرتها تونس للإحتفال بمرور مائة سنة على مولد الشّابّي (2009) والثاني سبب ضمني يتعلق بتذكر عثمان الكعّاك هذا الرجل الموسوعي الذي أعطى للثقافة التونسية وللثقافة عموما بلا حساب ومضى دون أن تهتم به الأقلام كثيرا فيما عدى بعض المقالات التي صدرت على صفحات الصحف والمجلات، وبعض الكتب التي تعد على أصابع اليد[1] هذا طبعا إذا استثنينا النشرة الببليوغرافية الخاصة[2] التي أعدتها دار الكتب الوطنية بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة الرجل والتي تعد في اعتقادنا عملا مرجعيا مهما إذ تحصي هذه النشرة مائة وسبعة وستين نصّا كتبها الكعّاك ما بين مقالات في الصحف والمجلات وكتب ألفها هذا الرجل بين مرقون ومطبوع. وقد غطت كتاباته مواضيع

1 - أحمد الطويلي: عثمان الكعّاك حياته ومؤلفاته تونس 2009.
عثمان الكعّاك: الرجل والفكر والقلم: دراسة واختيار أبو زيان السعدي. سلسلة ذاكرة وابداع، المركز الوطني للاتصال الثقافي 2009.
محمد بوذينة: عثمان الكعّاك 1903 - 1976 سلسلة مشاهير الحمامات 1996.
2 - عثمان الكعّاك: أول حافظ لدار الكتب الوطنية: ومضات عن حياته وآثاره. تونس 1996.

مختلفة ومتنوعة. كتب الكعّاك في الصحافة وفي علم المكتبات وفي الفلسفة وفي علوم الدين وفي العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفي الأدب واللغة وفي العلوم والفنون والتاريخ والتراجم الخ... ومن الأسباب الأخرى الدّاعية إلى نشر هذه الرحلة في هذا الوقت بالذات مناسبة القيروان عاصمة للثقافة الإسلامية سنة 2009 وقد خص الكعّاك، في هذه الرحلة، القيروان وتاريخها ومعالمها ورجالها بقدر كبير من العناية.

في الحقيقة لم نكن نعرف هذا النص من قبل وإنما أوحى لنا به الأستاذ أبو القاسم محمد كرّو ذات يوم من أيام هذه السنة عندما كنا في بيته نتجاذب أطراف الحديث عن الشّابّي – وعن المائوية – اقترح إخراج الرحلة الشّابّية التي خطها «عرّيفها عثمان الكعّاك» «في ذلك الوقت أي سنة 1966، ونفض الغبار عنها والتقديم لها ونشرها فلاقت الفكرة هوى في النفس وكان أن أقدمنا على إنجاز هذا الكتاب.

والرحلة نصّ مرقون لا تكاد حروفه تقرء، في نسخ محدودة موزعة عند من شاركوا في المهرجان الثلاثيني للشابي من بينهم الأستاذ أبو القاسم كرو ويوجد نظير منها في المكتبة الوطنية غير أن ما تمتاز به نسخة كرو هو أنها تحمل على ظهر صفحة غلافها توقيعات البعض ممن شاركوا فيها وأسمائهم وأسماء بلدانهم.

مناسبة «الرحلة الشّابّية» إذن هي الاحتفالات التي أقامتها الدّولة التونسية أواخر شهر فيفري وبدايات شهر مارس من سنة 1966 احتفاء بذكرى مرور ثلاثين سنة على وفاة الشاعر الكبير

أبو القاسم الشّابّي. ولعلّ المتأمّل في الحيز الزمني ما بين 1934، تاريخ موت الشاعر و1966 سيلاحظ أنه تجاوز الثلاثين سنة وأيّا كانت الأسباب التي وقفت وراء هذا التأخير فالاحتفالية أقيمت سنة 1966 وقد شارك فيها عدد من الكتاب والأدباء العرب والتونسيين.

من الأردن حضر هذه التظاهرة الأستاذ عيسى الناعوري والأستاذ محمد فائز الغول ومن الجزائر عبد الله شريط ومن السعودية عبد الله القرشي ومقبل العيسي ومن الكويت الأستاذ فاضل خلف ومن لبنان الدكتور عمر فروخ والدكتور موسى سليمان والأستاذ عبدو الخوري (ممثل مجلة الأديب) ومن المغرب الأستاذ عبد الكريم غلاب والأستاذ عبد المجيد بن جلون ومن تونس مصطفى حبيب بحري وتوفيق بكار ومحمد الحليوي وأحمد خالد وفرحات الدشراوي والمنجي الشملي والمختار بن محمود وأبو القاسم محمد كرو وآخرون[3].

وقد شمل برنامج الاحتفال جلسات عمل قدم خلالها السادة المحاضرون مداخلات عن الشّابّي كما شمل تظاهرات احتفالية أخرى موسيقية ومسرحية وشعرية وتوّج البرنامج الذي امتد من يوم 24 فيفري إلى 5 مارس 1966 برحلة عبر البلاد التونسية اشترك فيها عدد كبير ممن حضروا التظاهرة من الضيوف ومن التونسيين، توقيعات بعضهم في الوثيقة المدرجة ضمن ملاحق هذا السفر.

---

3 - جريدة العمل 23/ 02/ 1996.

كان لابد ونحن نتحدث عن المناسبة التي اقترنت بها هذه الرحلة أن نعرج ولو باختصار شديد على ما قيل في هذه الاحتفالية من شعر ونثر متصل دون شك بالشّابّي.

وقد استندنا في هذا الحديث على نص تأليفي كتبه محمد صالح الجابري[4] وعرض فيه عرضا أدبيّا لمختلف ما قدّمه المتدخلون من دراسات عن الشّابّي وأدبه وما قرء فيه من شعر كما استندنا على عدد خاص لمجلة الفكر[5] نشر الدراسات التي قدمت في المهرجان.

ولعلّ حرصنا على تبيان ظروف هذه الرحلة ينبع من قناعتنا بأن الظرف الزمني الذي كتب فيه الكعّاك نصها هو الذي يبررها وهو أمر لم يشر إليه كاتبها ولم يذكره كما ستلاحظون فيما بعد عند قراءة متنها بل دخل مباشرة في الحديث عن الرحلة ومراحلها.

قلنا إذن إن «**الرحلة الشّابّية**» هي تتويج لاحتفالية أقيمت بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاة الشّابّي. وقد أشرنا إلى فعاليتها فيما تقدم ذكره ولنا الآن أن نتوقف عند أبرز ما قدّمه المشاركون في الملتقى من دراسات وقراءات شعرية:

يقول الجابري في مطلع عرضه «منذ ثلاثين سنة توسّد أبو القاسم الشّابّي صخرة الفناء وآب الشاعر الذي ملأ أرجاء تونس حبّا وطهارة إلى الملكوت الخفي...» واسترسل الجابري

---

4 - أبو القاسم الشّابّي: ليس كثيرا على تونس أن تحتفي به؟ ا: محمد صالح الجابري/ مجلة الإذاعة 7 مارس 1966.

5 - الفكر عدد خاص أفريل 1966.

في حديثه مذكرا بدلالات الاحتفال وبمعانيه ثم استعرض فحوى الكلمات الرسمية لينتخب لنا منها فقرات معبّرة كتلك التي تحدث فيها الأستاذ الشاذلي القليبي في افتتاح الملتقى حين قال «...لعل أهم ما يتصف به أدب الشّابّي هو أنه في نفس الوقت ثورة عارمة وتجاوب مع المحيط القومي الذي فيه يحي وله يكتب...» أو حين ذكر «إن أدب الشّابّي هو الأدب الكبير الذي تتجاوب فيه النزعتان المنفصلتان «نزعة التعبير ونزعة الاستكشاف والغوص...».

أمّا فعاليات المهرجان فقد افتتح جلستها الأولى الشعر واختتمها الشعر. افتتحها الشاعر السعودي حسن عبد الله القرشي بقصيد عنوانه «شاعر من عبقر «ومطلعه:

يـا أبـا الـقـاسـم هـل مـن نفحة
أنـت مـازلـت هـنـا فـخـر الـنـدى

واختتمها الشاعر أحمد اللغماني بقصيد مطلعه:

ردّ لي عـنـفـوانـي الـغـض ردّه
فـشـبـابي وديـعـة مـسـتـردّه

وقد قدم خلال هذه الجلسة عدد من المشاركين مداخلات مختلفة قرء قبلها الشاعر الجزائري صالح الخرفي قصيدا تغنى فيه بالشّابّي يقول فيه من ضمن ما يقول:

أيهـا الحـب هـكـذا مـصرع الأ
بـطـال حـيـوك بالقصيد المـفـادي

أيها الحبّ راية السلم مني

في نزال الهوى لحمت زنادي

ثم تلاه المغربي عبد المجيد بن جلون بتقديم دراسة عن الشّابّي ومما ذكر فيها بالخصوص: «...هو الشاعر الذي ارتفع بالشعر من مستوى النظم والتكلف والسماجة إلى الكلمة المعبّرة وربا بنفسه عن التزلّف وبالفن عن الدنس وهو الشاعر الذي سما بالأغراض الشعرية عما تحددت بها في القديم وثار على القيود التي غلّ الشعر بها نفسه.»

وقائع الجلسة الثانية تميّزت بدراسة الأديب الأردني محمد فائز الغول والتي دارت حول «سر الخلود في شعر الشّابّي وحول الجوانب الإبداعية فيه «ثم تحدث بعد ذلك الأديب مقبل عيسى من السعودية عن الشّابّي شاعر الوطنية وأنهى الدكتور المنجي الشملي أعمال الجلسة الثانية بدراسة نقدية لمحاضرة الشّابّي «الخيال الشعري عند العرب.»

عرف اليوم الثالث من المهرجان تقديم دراستين مقارنتين للأستاذين عيسى الناعوري من الأردن وعبد الله شريط من الجزائر. عيسى الناعوري قارن بين الشّابّي و«وليام ورد سوورث[6](William Wordsworth)». أمّا مقارنة عبد الله

---

6 – ورد سوورث «شاعر بريطاني ولد سنة 1770 وتوفي سنة 1850 وتجمع بينه وبين الشّابّي أوجه شبه كثيرة كحسّ الطبيعة وحسّ الطفولة والأمومة.

شريط فقد كانت بين الشّابّي وجان ماري غويو[7](Jean Marie Guyau)أحد فلاسفة القرن التاسع عشر.

وبعد هذين الدراستين قدم عبد الكريم غلاب من المغرب بحثا عن «الإبداع في شعر الشّابّي من خلال «أغاني الحياة» ثم تلاه مصطفى حسن بحري من تونس بتقديم دراسة عن «الشعب في شعر الشّابّي وحياته.»

اليوم الرابع تكلم فيه كل من موسى سليمان من لبنان وأحمد خالد من تونس فتحدث الأول عن «الغربة و الثورة في شعر الشّابّي» بينما تطرق الثاني إلى موضوع «المرأة والشّابّي.»

وانتهت الأيام الدراسية بمداخلات كل من توفيق بكار الذي بحث في آثار الشّابّي المفقودة وفي آثاره التي لم تنشر وفرحات الدشراوي الذي خاض في محاضرته في الجوانب الجمالية في شعر الشّابّي ومداخلة الدكتور عمر فروخ من لبنان التي بحث فيها الجانب الفكري في شعر الشّابّي ومداخلة المختار بن محمود التي كانت كلمته على حدّ قول محمد صالح الجابري «ردّا على كل المتكلمين والدّارسين بيّن فيها جوانب خاصة عرفها عن الشّابّي من خلال اتصاله الشخصي به ومن خلال تلازمهما مدة طويلة...».

---

7 - توفي سنة 1888 عاش 33 عاما فقط وهذا وجه الشبه الأول بينه وبين الشّابّي الذي عاش 25 عاما إلى جانب جوانب أخرى يلتقي فيها الرجلان.

غير أن المتأمّل في هذا العرض يلاحظ أن محمد صالح الجابري قد أهمل آخرين أو هو غفل عن ذكرهم كانت لهم مساهمة في هذا المهرجان الثلاثيني وقد ورد ذكرهم في مجلة الفكر[8] وهم محمد مصمولي الذي قدم دراسة بعنوان» انبعاث الشّابّي في انبعاث شعب «وفاضل خلف الكويتي الذي بحث في «القلب في شعر الشّابّي» ومحمد الحليوي الذي قدم نظرات في ديوان «أغاني الحياة» والمستشرق الفرنسي جاك بارك الذي ألقى كلمة مرتجلة قدم فيها بعض الآراء عن الشّابّي وشعره والمدرسة التي انتمى إليها.

إن القصد من وراء الوقوف على ما قدّم في ثلاثينية الشّابّي من دراسات هو وضع الرحلة الشّابّية في إطارها الفكري والزمني والموضوعي.

الرحلة الشّابّية: مسالكها وخصائصها

إن ما يلفت انتباه قارئها للوهلة الأولى هو أن الكعّاك قد يكون كتب فصولها قبل انجازها وذلك وفق البرنامج المسطر لها مسبقا[9] وقد يكون قصد إعداد هذا النص ما قبليا حتى يتمكّن من توزيعه على المشاركين في الرحلة أثناء ترحالهم عبر المسلك المبرمج إتباعه من قبل. وهو أمر مرجّح، باعتبار أن ما يتضمنه

8 – مصدر ذكر سابقا.

9 – جريدة العمل: مصدر ذكر سابقا.

النص من معلومات تاريخية وثقافية غزيرة عن المواقع والأماكن والمدن التي توقف فيها ركب الرحلة، لا يمكن إطلاقا أن يكون قد كتب أثناء الرحلة، ويبدو أيضاً أن الغرض الذي كان يرمي إليه منظمو الرحلة يهدف إلى إطلاع زوار تونس المشاركين في المهرجان على بلد الشّابّي وعلى المدن التي عبرتها الرحلة ذهابا وإيابا.

1) مسالكها:

*** اليوم الأول للرحلة: الإربعاء 2 مارس 1966**

الساعة (8:30) الخروج من تونس صوب القيروان عن طريق زغوان وفي الطريق إلى القيروان توقّف ركب الرحلة بالمحمّدية (كلمة عنها بدون نزول) ثم بأوذنة والحنايا الرومانية (كلمة عنها وتصويرها لمن أراد ذلك) فحمامات جبل الوسط (9:15) فزغوان (10) وصفها بدقة. تحدث عن البلدة الرومانية وعن تاريخ زغوان ومغزى تسميتها وخاصيات المدينة.(10:30) الانطلاق من زغوان صوب القيروان مرورا بعين مذاكر (بدون وقوف) وصفها وصفا موجزا فتكرونة البربرية التي وصلها الركب في حدود 10:55. أبان عن موقعها ومعنى تسميتها:

الساعة الحادية عشر الوصول إلى «المفيضة.» وفق عثمان الكعّاك وتكتب «النفيضة» وقد برر كتابتها بحرف الميم بدلا من حرف النون: تحدث عن تاريخها. غادرها الركب 11:15 ووصل إلى القيروان في حدود الساعة (12) زيارة بركة الأغالبة ومقام ابن زمعة البلوي. تحدث عن البركة وعن تاريخها وعن

اهتمام الحكومات الإسلامية بديار المغرب بمسألة الري وعن مراحل تاريخها.

وتحدث عن المناهج التي طبقها الأغالبة في الري فتحدث عن البرك الكبرى حول المدن ثم عن الحنايا ومنها حنايا «سردانيا» ثم تحدث عن المواجل. وفي مجرى حديثه عن القيروان تحدث الكعّاك عن مقبرة «المعافرين» وهم كما يذكر «مجموعة قبائل قد استقرت بالقيروان منذ التأسيس الأول وأبرز ما كان لهم من دور - كما يقول في - «تفقيه أهل إفريقية في اللغة والدين.» وفي غضون حديثه عنهم تحدث عن علمائهم في شتى اختصاصات المعرفة...وفي إثر ذلك تحدث الكعّاك عن «بئر بروطة» وعن أسواق القيروان وعن زيارة رقادة وعن العبّاسية وعن المنصورية وعن جامع عقبة وتاريخه وعن التغييرات التي شهدها منذ تأسيسه الأول. كما تحدث الكعّاك بعد ذلك عن «مكتبة القيروان «وعن بيت الحكمة وعن الخطاطة في القيروان وعن الأدب القيرواني واستعرض علماء القيروان وفقهائها الخ...

الساعة 18: الارتحال إلى القصرين وفي الطريق إليها تكون أول محطة لركب الرحلة «الشبيكة» وحديث سريع عنها وعن منشئها، ففندق الهوارب فحاجب العيون التي ذكّر بإيجار شديد بأصولها الرومانية وذكر اسمها الروماني «ماسكلياني» فجلمة التي وصفها في ثلاثة أسطر ثم سبيطلة التي توقف عند تاريخها وآثارها لينتهي الكاتب إلى القصرين فيشرح سبب تسميتها

كذلك ويتحدث عن تاريخها ويقول أن الوصول إليها كان في حدود الساعة السابعة والنصف مساءً.

*** اليوم الثاني للرحلة: الخميس3 مارس 1966**

الساعة الثامنة يقول الكعّاك: زيارة القصرين ثم المغادرة إلى توزر على الساعة 9:30 وفي الطريق إليها يقدم الكعّاك كلمة – كما يقول – عن كل من «تلابت» و«فريانة وبئر أم علي» ليصل ركب الرحلة إلى توزر في حدود الساعة الحادية عشرة وعن توزر يورد ما قاله «بعض شعرائها القدامى عنها »: ثم يورد ما ذكره التجاني في رحلته فيها ثم يتحدث عن أهلها الذين يقول عنهم إنهم خليط من بقايا الروم ومن العرب ومن البربر. ثم يتحدث عن مساكنهم وعن مصلى المدينة ويتحدث عن علماء توزر وعن أدبائها. ويتحدث عن روضة الشّابّي وزيارة بلد الحضر بما في ذلك زيارة قبر عبد الله الشقراطسي ومحمد بن الشباط وخلوة ابن النحوي التوزري والواحة. ثم يخبر عثمان الكعّاك عن أمسية شعرية أقيمت للوفد الزائر في توزر دون أن يذكر أسماء المشاركين فيها. وفي ذات العشية يذكر عثمان الكعّاك مغادرة الوفد على متن القطار إلى قفصة وهي أول مرة يذكر فيها وسيلة النقل المستخدمة في التنقل.

*** اليوم الثالث للرحلة: الجمعة4 مارس 1966**

الساعة الثامنة صباحاً زيارة المدينة والواحة وقد جرى الحديث عن قفصة عبر التاريخ من العصر الحجري إلى العصر

البربري إلى العصر الفينيقي إلى العصر الروماني فالعصور الإسلامية وقد تحدث الكعّاك عن قفصة ومعاني الاسم وعدد خصائصها في كل مرحلة من هذه المراحل ثم تحدث بعد ذلك عن علمائها وأدبائها.

الساعة التاسعة من صبيحة هذا اليوم يرتحل الركب على متن حافلة إلى مدينة صفاقس ليصلها في حدود الحادية عشرة. فيزور المدينة وهنا يبدأ الكعّاك الحديث عن صفاقس من العصور القديمة حتى العصر الإسلامي الذي يبدأ الحديث عنه بقصيد لشاعر صفاقس علي بن الحبيب التنوخي الصفاقسي. ثم يتحدث عن معمارها الإسلامي وعن أبرز معالمها ومواقعها وعن مختلف أوجه الحياة فيها ثم يتحدث بعد ذلك عن أدبائها وشعرائها.

وفي حدود الساعة الثالثة والنصف بعد الزوال يركب الوفد إلى الجم وقد تحدث الكعّاك عن أبرز معالمها خاصة قصرها الشهير. ويتواصل مسار الرحلة بعد ساعة قضاها الركب في الجم إلى المهدية التي يصلها في حدود الخامسة ويبدأ الحديث عنها عاصمة الفاطميين ويتحدث عن هبون فيستعرض تاريخها في هذه الفترة ويعرج على أبرز معالمها كالجامع الأعظم بالمهدية وأسوارها وأبوابها وموقعها وأجزائها «كزويلة وهبون» وما قاله التجاني في رحلته عنها واستعرض أعلامها في الأدب أولاً في العصر الفاطمي وثانياً العصر الصنهاجي وتحدث بصفة عامة عن رموزها الفكرية والسياسية حتى العصر الحاضر.

يتحوّل ركب الرحلة بعد ذلك إلى المنستير التي يصل إليها في حدود الثامنة والنصف ليلاً من اليوم الثالث.

*** اليوم الرابع للرحلة / السبت 5 مارس 1966**

في البرنامج زيارة المنستير وسوسة - زيارة مقهى الكحلية وزيارة معالم المنستير وقصر الرئاسة. وجرى حديث الكعّاك عن تاريخ المدينة في العهد القديم وفي العصر الإسلامي وتحدث عنها في العصر الحديث ثم استعرض علماءها وأدباءها ورجالها.

ثم في الساعة الحادية عشرة والنصف، ارتحل الركب إلى سوسة وكان الوصول إليها بعد نصف ساعة من وقت الانطلاق من المنستير وعن سوسة تحدث الكعّاك عن تاريخها من سوسة البونيقية فسوسة الإسلامية وتحدث عن معالمها الأثرية وعن علمائها وأدبائها وشعرائها وقد طعّم حديثه بمقتطفات كبيرة من شعر هؤلاء.

وتنتهي الرحلة عشية اليوم الرابع أعني السبت 5 مارس 1966 بعودة ركبها إلى الحاضرة تونس في حدود الساعة السادسة والنصف مساءً.

2) خصائصها:

يقول الشاذلي زوكار عن الرحلة الشّابّية وعن مناسبتها[10] . «..في سنة 1966 أقامت تونس مهرجانا كبيرا لأبي القاسم الشّابّي

---

10 - الملحق الثقافي لجريدة الحرية 19 ماي 1994.

بمناسبة مرور ثلاثين سنة على وفاته وقد دعت كتابة الدولة للثقافة والإرشاد آنذاك عددا كبيرا من الأدباء والمثقفين والشعراء العرب للمساهمة في إحياء هذه الذكرى الأدبية الهامة ونظمت لهم رحلة تنطلق من العاصمة لتصل إلى توزر حيث «روضة أبي القاسم الشّابّي «وتعود من طريق مغاير وذلك عبر عدة مدن تونسية ذات قيمة تاريخية...» ويواصل زوكار:

«...قبل الشروع في هذه الرحلة...أعد أستاذنا الكعّاك كراسا من سبع وستين صفحة أطلق عليه عنوان «الرحلة الشّابّية.» وهو يتضمّن خلاصات تاريخية لكل مدينة أو قرية أو معالم تاريخية نتوقف عندها. وعندما يتصفحه أي مطالع يدرك سعة الإطلاع لهذا الرجل الذي جمع بين التاريخ والأدب.. إذ أنه زيادة عن البسطة التاريخية عن أي مدينة يزوّدك بما قاله عنها الشعراء وأسماء المراجع التي يمكن العودة إليها لمن يطلب ذلك...».

الرحلة في حدّ ذاتها هي سفر في تاريخ المدن والمواقع والمضارب التي مرّ بها ركبها واستعراض مكثف لخصائص هذه الأماكن ولأدبائها وأعلامها ومفكريها. ولعل ما يميز هذه الرحلة عن بقية رحلات الكعّاك الكثيرة التي تربو عن الأربع عشرة رحلة قام بها هنا وهناك من مناطق العالم ونشر وقائعها في الصحف التونسية أو في صحف البلدان التي زارها كرحلته إلى باريس خلال شهر جانفي 1927 والتي نشر بعضها في مجلة «العالم الأدبي» أو رحلته إلى «سردانيا» وايطاليا خلال شهر ماي

1959 لدراسة الآثار الإسلامية والمخطوطات العربية هناك والتي نشرت في الصحف الإيطالية والتونسية وغيرهما من رحلاته الأخرى[11].

قلنا إذن لعلّ ما يميز الرحلة الشّابّية عن هذه الرحلات إن هذه الأخيرة كانت وصفا لوقائع الرحلة في حين أن الرحلة الشّابّية جاءت ثرية بالمعلومات التاريخية عن الأماكن المزورة وعن معالمها ومواقعها وعلمائها وأدبائها الخ... وهذا إن دلّ على شئ فإنما يدل على سعة ثقافة الكعّاك وخاصة في مجال التاريخ.

الميزة الثانية تتمثل في ذلك الزخم الببليوغرافي الذي يقدمه الكاتب عقب كل حديث عن موقع ما والإحالات على مصادرها ومراجع تحدثت عمّا تحدّث هو فيه ولا غرو في ذلك ما دام الرجل قد تولى الإشراف على القسم العربي للمكتبة العمومية بتونس في الفترة ما بين 1944 حتى 1956 وسمّي منذ هذا التاريخ حافظا لدار الكتب الوطنية وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة 1965. فتمرّس أثناء ذلك بالعمل الببليوغرافي والتوثيق بصفة عامة.

الميزة الثالثة في الرحلة تتمثل في حضور الشعر بكثافة مضمّنا بين سطورها ومتحدثا عن المدن والمواقع التي مرّ بها ركب الرحلة أو زارها. ونلاحظ ذلك خاصة عندما جرى الحديث عن توزر وعن صفاقس وعن المهدية وعن سوسة.

---

11 - وفق وثيقة من أرشيف محمد صالح المهيدي.

ونص الرحلة عموما مليئ بالمعطيات التاريخية والجغرافية والأدبية وغيرها قد بذل الكعّاك جهدا كبيرا في جمع هذا الزخم من المعلومات سواء منها المتعلقة بتاريخ المدن والمواقع أو بأسماء الأعلام وبالمراجع والمصادر التي أحالنا عليها.

والرحلة في حدّ ذاتها كما سبق أن أشرنا إلى ذلك هي بالأحرى رحلة في الزمان وليست في المكان إذ اهتم الكعّاك باستعراض تاريخ المدن المذكورة في النص ولم يقدم لنا أي وصف لها على هيئتها إبان زيارته لها. وتكمن أهمية الرحلة في أنها تقدم روافد لدراسة تاريخ تلك المدن ولأعلامها مفكرين كانوا أم أدباء أم علماء.ولمعالمها ومواقعها الأثرية.

وعلى ثراء هذه الرحلة بالمراجع والمصادر التي يحيلنا عليها الكعّاك كلّما تحدث عن موقع أو معلم أو علم من أعلام المدن التي مرّ بها ركب الرحلة فإن أسلوب المختصرات الذي اعتمده في كتابة هذه المصادر والمراجع لم يكن الأسلوب الأفضل في اعتقادنا إذ قد يشكل هذا الاختصار عائقًا خاصة للذين ليست لهم دراية بهذه المصادر وعلى الرغم من ذلك حاولنا أن نعود إلى معظمها في رصيد المكتبة الوطنية للتثبت من رسم كتاباتها ولعلّ ما زاد مهمتنا عسرًا ذلك الزخم من أخطاء الرسم التي ارتكبها الراقن وقد أمكننا أن نقف على ما يزيد عن مائة خطأ في هذا النّص صوّبناها واحدا بعد الآخر.

لابد أن نشير في خواتم هذا التقديم للرحلة الشّابّية إلى أننا لم نغيّر في نصها شيئًا إلا ما تراءى لنا خطأ وجب إصلاحه سواء في

رسم الكلمة أو في غيره من الأخطاء النحوية التي ارتكبها راقن النّص وقد تجاوزنا عن كتابة المختصرات مثلاً (ع. ك) ويعني بها الكاتب نفسه فتركناها على حالها.

فكرنا أن نستل من النّص قائمة المصادر والمراجع التي أحالنا علينا عثمان الكعّاك وقائمة الأعلام الذين أتى على ذكرهم وكذا بالنسبة للأبيات الشعرية وشعرائها لنضع كل ذلك في كشافات نوردها في ملاحق الكتاب غير أنه تراءى لنا فيما بعد أنه إذا ما فعلنا ذلك قد نفرغ النّص من مضمونه لأن كل العناصر التي ذكرنا آنفا تشكل معظم نص الرحلة.

يمكن القول إجمالا إننا حافظنا على نص الرحلة كما كتبه صاحبه ولم نحذف منه شيئا ولم نزد عليه شيئا. وندرج صورة طبق الأصل للصفحة المثبتة عليها توقيعات من شاركوا في الرحلة.

من هو عثمان الكعّاك كاتب الرحلة الشّابّية؟

بدأ الرجل حياته محبّا للثقافة الفرنسية مهتما بها مديرا ظهره للغة العربية وآدابها غير عابئ بها لكن أمرا ما أدركه ذات مرة فجعله يغيّر مسار حياته ولندعه هو يحدثنا عنه إذ يقول[12] «...فقد كنت إلى سنّ الثالثة عشرة من حياتي احتقر اللغة العربية وآدابها وأهزأ بالحضارة العربية والتاريخ الإسلامي وأرى الفرنسية ليس إلاّ. وكنت أحمد الله كثيرا على أني لا أعرف شيئا

12 - مجلة الندوة أفريل 1956 - ركن «أدباؤنا بأقلامهم.»

من لسان العرب حتى ولو مجرّد الحروف. وفي شهر ماي 1915 لمّا دخلت تركيا الحرب ضدّ الحلفاء كنت ماراً بـ«المواحية» وعلى رأسي شاشية مجيدي حسب العادة فأدركتني كوكبة من الجنود وصفعني أحدهم وبعثرني على الأرض وداس الشاشية فمن ذلك التاريخ أقبلت على تعلّم العربية وآدابها بحزم ما عليه من مزيد...».

وربّ ضارة نافعة كما يقولون فلقد غيرت هذه الحادثة مسار حياة الكعّاك وأقبل على مطالعة الكتاب العربي بشغف كبير بعد أن كان معرضا عنه.

يقول الكعّاك في نفس هذا الحديث «...وأول ما طالعت كتاب حديث عيسى بن هشام. ثم قضيت عامين أطالع بتلهف ما يوجد من مكتبة سيدي محمد الصادق باي بالمرسى حتى قرأت زيدان كله ووفيات الأعيان وكل ما فيها من كتب تاريخية ثم أقبلت على مكتبة خزندار بالمرسى أيضاً فطالعت ما فيها من كتب الأدب والطب والعلوم. كل ذلك خلال سنوات الحرب الأولى وبعد الهدنة بقليل...».

ولقد كان لهذا المنعرج في حياة الكعّاك أثر بالغ مكنه من الإقبال على مطالعات مختلفة باللغات العربية والأجنبية خاصة منها الفرنسية سمحت له بالمقارنة بين الثقافات ويذكر في موقع آخر من الحديث نفسه مؤكّدا على ما حصل له من جرّاء هذه المطالعة حين يقول «...أما ما طالعته من الكتب العربية والأجنبية قد كوّن فيّ ثقافة عامة تمتد سطحا إذا لم تمتد عمقا

وقد سمح لي بأن أعرف شيئا من الأدب المقارن الذي أتعشقه عشقا... فزال من نفسي الإعجاب بالآداب الأجنبية. وطهّرت عقلي من مركب النقص الذي يجعلني أفضل أدبا بعينه لأني أجهل غيره من الآداب وحملني هذا على أن أقدر كل أدب حقّ تقديره بمعايير مسلمة وأن أعرف لكل أدب حقه...».

لقد اكتسب الكعّاك معرفة واسعة في ميادين الفكر المختلفة وهو الذي يسيطر على اللغتين العربية والفرنسية وله دراية باللغات الإنقليزية والإيطالية والإسبانية والألمانية والتركية. وهو الذي اشتغل حافظاً للقسم العربي بدار الكتب الوطنية فحافظاً عاماً لها وكان قبل أن يتولّى هذه المسؤوليات فيها من المقبلين على ارتيادها منذ ثلاثينات القرن العشرين تقول جريدة الشباب في هذا المضمار[13].

«...وعثماننا يحشد لك خليطا مشوشا لاتفهم منه إلاّ أن الرجل يريد أن يشعرك بسعة إطلاعه على كتب المستشرقين العربية والفرنسية. ويشتط في هذه الناحية فينبّه قارئه إلى أن مقاله مترجم عن الايطالية أو الألمانية أو اليبانية. هذا الاطلاع الواضح على كتب المستشرقين جاءه من مكتبتي العطارين والخلدونية فهو يستعير منهما ما يشاء. وما من كتاب نفيس تطلبه من إحدى تينك المكتبتين إلاّ وتجد أن الأستاذ عثمان قد سبقك إلى استعارته كله أو جزء منه وعليك أن تنتظره حتى يفرغ من أبحاثه القيّمة التي سينشرها للشعب...».

---

13 - الشباب عدد 10/ 1 جانفي 1937. ركن «الأبطال بالريشة والقلم».

وأيا كانت سخرية المقال بأسلوب جريدة الشباب المازحة فهو يقدم لنا فكرة عن مدى شغف عثمان الكعّاك بالمطالعة والجري وراء الكتاب.

ولعل ما قدمه في الرحلة الشّابّية من معلومات مختلفة في كل المحطات التي توقف فيها ركب الرحلة ينم عن معرفة شاملة بالتاريخ والجغرافيا والآثار ومجمل الكتب المصادر منها والمراجع.

ولا يختلف اثنان في أن الرجل كان مطلعا على كل كبيرة وصغيرة فيما يتصل بتاريخ تونس أساسا وبثقافتها وتقاليدها حتى أنه يشكل مرجعا من مراجعها الأساسية. ولعلّ سعة إطلاعه هذه تعزى إلى أنه درس أغراضا شتى وتبحّر فيها تقول مجلة الثريا[14].»..نشأ الأستاذ عثمان الكعّاك بالعاصمة التونسية من أسرة تونسية عريقة ومحافظة ودرس في الصّادقية وتهيأ بمفرده لشهادة الترجمة فأحرز عليها. ثم أولع بدراسة التاريخ والآداب الإسلامية وتفرغ بالخصوص إلى تاريخ الشمال الإفريقي فأصبح له فيه باع طويل. وتعلّم في معهد اللغات الشرقية بباريس اللغات: الفارسية والتركية والألمانية والإيطالية والإسبانية والانقليزية. ونبغ في اللغتين العربية والفرنسية نبوغاً كبيرًا...».

---

14 – الثريا: هل تريد أن تعرف الأستاذ عثمان الكعالك؟؟/ مارس 1946.

كتب الكعّاك في الإتحاد والإخاء والإذاعة والتلفزة والأصالة والأفكار والبرهان وبلادي وتقويم المنصور والجامعة والجندي والحرية والحياة الثقافية والشعب والصّباح والعالم الأدبي وعالم المكتبات والعرب والعروبة والعصر الجديد والعمل والفجر والفكر ولسان الشعب واللطائف واللغات والمباحث ومجلة مكارم الأخلاق ومجلة المكتبة العربية ومرشد الأمة والمكتبة والندوة ونشرة الجمعية الخلدونية والنصر وهنا بغداد الخ...

وتحدث في الإذاعة وألقى محاضرات على منابر عدّة داخل تونس وخارجها وارتحل إلى أمصار كثيرة كتب عنها[15]. ارتحل إلى باريس سنة 1927 لدخول المدرسة الشرقية وكلية السربون، بعض وقائع هذه الرحلة منشور في مجلة «العالم الأدبي» للسنوسي. وارتحل إلى الجزائر سنة 1935 لحضور مؤتمر الطلبة في تلمسان، بعض مما كتب عن هذه الرحلة نشر في الصحافة التونسية ثم إلى المغرب لحضور مؤتمر الموسيقى العربية بفاس يوم 4 ماي 1939 نشرت حلقات مما كتب الكعّاك عن هذه الرحلة «بالإذاعة التونسية «ثم ارتحل إلى ليبيا في جوان 1949 تقول الوثيقة: وقائع الرحلة نشرت بالصحافة الليبية والصحف التونسية وغير ذلك من الرحلات الكثيرة الأخرى إلى كل من مصر وسوريا والعراق وإلى سردانيا وإيطاليا وإلى صقلية وتركيا

15 – وثيقة مرقونة توجد في أرشيف المهيدي وتتحدث عن رحلات الكعّاك حتى عام 1967.

ولبنان وبالارم...» وقد أثرت هذه الرحلات ثقافة الرجل. وزادت سعة إطلاعه وأكسبته معارف جديدة في مجالات عدة.

وفضلا عمّا سبق ذكره فإن الكعّاك ترك مؤلفات عدة بين مطبوع ومخطوط وزخما من المقالات التي نشرها سواءًا كان ذلك في الصحف التونسية أو الأجنبية وكانت آخر دراسة له قد نشرتها مجلة الحياة الثقافية[16] بعنوان «الأبعاد الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للعبادات وأهميتها لكلّ من الأمة والفرد».

لقد أردت طوعًا الخروج عن السبل المألوفة كلما جرى الحديث عن حياة أديب ما وخيرت أن أخرج عن المعتاد الذي يتحدث عن مولد الكاتب وتعليمه ونشأته ومؤلفاته واخترت أن أعطي الكلمة في التعريف بعثمان الكعّاك وسعة اطلاعه إلى بعض من تحدثوا عنه في مناسبات مختلفة.

يقول عنه الشاذلي زوكار[17].»..لقد كان عثمان الكعّاك سريع البديهة حاضر الجواب، ولو أن البعض يتهمه بالمبالغة والاجتهاد الخاطئ في تفسيراته وتحليلاته التاريخية، ولكن مما لا شك فيه ومهما كان رأي البعض فإن الرجل كان دائرة معارف يحدثك في كل فن وعن كل شخصية وذلك بفضل إطلاعه الواسع وما يملكه من لغات يتقنها مكنته من الوقوف على حقائق لم يقف عليها غيره من معاصريه...».

---

16 - مجلة الحيلة الثقافية سبتمبر - أكتوبر 1976.

17 - الملحق الثقافي/ جريدة الحرية 19 ماي 1994.

وعن ميزة أخرى في الرجل يواصل زوكار الحديث قائلا:
«..وعثمان الكعّاك لا يبخل على أبناء الجيل بتوفير عصارة المعلومات التي يطلبونها، فطلبة التحصيل في جامع الزيتونة كانوا يحتاجون إلى من يمدّهم بخلاصات عن الشخصيات الأدبية المقررة عليهم في امتحان شهادة التحصيل ولكن عثمان الكعّاك زوّدهم بخلاصات مهمّة عن «محمد كرد علي» «وصفي الدين الحلي «وبهاء الدّين زهير وعبد الحميد الكاتب وقد طبعها في كتيبات...».

أمّا جمعة شيخة[18] فقد نعت الكعّاك بالباحث المقتدر والمثقف الموسوعي وقد ذكر في هذا المجال «...أطلق على عثمان الكعّاك العديد من الألقاب فهو «أستاذ الجيل» باعتبار الخدمات المعرفية التي كان يقدمها لجماهير الدّارسين بالمعهد وبالخلدونية وبمنابر العلم والأدب.وهو في نظر بعضهم «ابن خلدون عصره» «..كما أنه صنو العبقرية وكذلك خازن العلم...» ووصفه أيضاً برسول الثقافة التونسية «لما كانت للرجل من منابر متعدّدة داخل تونس وخارجها حاضر عليها».

وقال محمود المسعدي في تأبين الكعّاك[19]:

---

18 – مقدمة النشرة التي أعدتها دار الكتب الوطنية بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة الكعّاك (1996).

19 – العمل 18 جويلية 1976.

«...لقد كان المغفور له مربياً ملتزماً مارس التدريس وتلقين العلم منذ شبابه بالمدرسة الخلدونية ثم بالمدرسة العليا للآداب واللغة العربية منذ سنة 1928...

ولقد عرفنا في فقيدنا الكبير أديبًا واسع الإطلاع ومؤرّخًا بارعاً يقودك إلى الأثر الخفيّ فيطلعك على خفاياه.. وعرفنا فيه إلى جانب ذلك طول حياته المليئة بالخصال محاضرًا مجيدًا يحاضر فيشّد منك السّمع ويملك الانتباه ويفيد، ويثري ولا يمّل ولا يسأم. ووجدنا فيه الكاتب المعطاء الذي سخّر قلمه للمعرفة والحقيقة منذ نشر مقالاته الأولى بالصحافة التونسية سنة 1920 وحتى الرمق الأخير من حياته...».

هكذا إذن أردت أن أقدم الكعّاك كاتب الرحلة الشّابّية على خلاف ما اعتاد الناس أن يفعلوا بتوخّي طريقة مرسومة متمثلة في الحياة والنشأة والتعليم الخ... فعلت ذلك وأنا مقتنع بأن النّتف التي استخلصتها عن الرجل من هنا وهناك ممّا كتب عنه أو قيل فيه في مناسبات مختلفة (حفلات تكريم ومقالات صحفية وغيرها) لكَافية بأن تسلّط الضوء على أهم مراحل حياة الكعّاك.

محمد رؤوف بلحسن

مهرجان أبي القاسم الشّابّي

(1966)

الرّحلة الشّابّيّة

عثمان الكعّاك

الرّحلة الشابية

الأربعــاء 1966/3/2

س 8.30 - الخروج من تونس صوب القيروان عن طريق زغوان.

المحمّدية

س 8.50 - المحمّدية - كلمة عنها بدون نزول. «تقع المحمدية على بعد 16 كلم في الجنوب الشرقي من تونس في هضاب تشرف على العاصمة من بعد. كانت في الأول مدينة تيميدا الرومانية. ولا تزال بعض آثارها تشاهد ثم اعتنى بها بنو الأغلب (806 - 908) فبنوا بها قصورًا وسموها «طمبذة» وبها وقعت ثورة منصور الطمبذي (ابن خلدون - ابن العذارى - ح.ح. عبد الوهاب - ثورة منصور الطمبذي - وعلى الخصوص، ياقوت الحموي = طمبذة).

واهتم بها الملوك الحسينيون (1705 - 1957) فيما بعد. فجددها ثالثهم محمد الرشيد بن حسين بن علي تركي (1756 - 1759) فبنى بها قصرا. ثم لما سافر أحمد باي إلى فرنسا وشاهد

قصر فرساي بنى فرساي التونسي (1837 - 1855) وعلى الخصوص قصر الصالحية وقصر مصطفى آغا وزير الحرب جد مصطفى آغا الشاعر (1881 - 1947 ديوانه مطبوع) وقصر مصطفى خزنة دار الوزير الأكبر (وحفيده الشاذلي خزنة دار (1880 - 1956 ديوانه مطبوع) وشاكير صاحب الطابع وخير الدين الوزير وبنى بستان حيوانات وأسواقا، الخ...

انظر عن المحمدية - إتحاف أهل الزمان لإبن أبي الضياف

«Gandolphe - résidences Beylicales»

أوذنة الحنايا

س - 9 **أوذنـــة** - والحنايا الرومانية باليعقوبي، كلمة عنها وتصويرها لمن أراد ذلك. «أوذنة Uthina - مدينة رومانية. كانت مستعمرة وبلدية رومانية أحدثها الامبراطور اوكتافيوس أوغسطس واقطعها لجنود الفرقة الثالثة عشرة الرومانية، ووسع الامبراطور هدريانوس نطاقها بأن ضم إليها المدينة البربرية والبونيقية القديمة.

آثارها = متسعة جدا، أهمها = قوس نصر ذات فتحة واحدة، معبد كبير (كابيتول) ذو ستة أعمدة، مسرح بيضوي ذو وجهين، مسرح، حمامات معدنية متسعة جدّا، صهاريج (مواجل) كبيرة ذات ثمانية تقاسيم، صهاريج فسيحة ذات ثلاث بلاطات مفصولة عن بعضها بساطين ذوي 18 عمودا، مجموعة ثالثة

من الصهاريج، عدة صهاريج خاصة. آبار. حنايا منفصلة عن الحنايا الأصلية زغوان قرطاجنة. ديار بعضها مزخرفة زخرفا ثريا رفيعا. حمامات آل لابيريوس العائلة الأرسطوقراطية بالمدينة في العهد الروماني، جسران على نهر مليان (النهر الملآن). كنيسة ملوكية ذات ثلاثة محاريب، كنيسة ثانية فيها مدافن مغيبة تحت الأرض مستديرة الشكل. ثلاث كنائس أخرى.

انظر عن أوذنة = المقدسي = أحسن التقاسيم، 565

Charles Tissot - géographie comparée II - 565

Guérin - Voyage archéologique II - 282 - 284

وقد وصف آثارها وصفًا دقيقاً.

Revue archéologique - 1846 - p.142

تصف المجلة فسيفساء، جميلة اكتشفت بها سنة 1846.

وآثار أوذنة وفسيفساآتها معروضة بمتحف باردو الوطني.

ديانتها - انقسمت تونس في العهد النصراني إلى كاتوليكيين ودوناتوسيين. وورد ذكر الأساقفة أوذنة الكاتوليكيين في سنوات 256 - 314 - 411 - 419 - 425 - وورد ذكر أسقف دوناتوسي سنة 411.

انظر =

Menage - l'Afrique Chrétienne

P. - Monceau la littérature chrétienne d'Afrique

الحنايا - بنيت مرة أولى على عهد القرطاجنيين البونيقيين لتزويد مدينة قرطاجنة البونيقية من الماء (820 - 146 ق.م) وأعادها القيصر الروماني هدريانوس في القرن الثاني بعد الميلاد وهي المشاهدة الآن تنطلق من معبد المياه بزغوان إلى صهاريج «المعلقة» التي وصفها أبو عبيد البكري في كتابه المسالك والممالك (ط. الجزائر وترجمه دوسلات إلى الفرنسية).

وأعادها المستنصر بالله الحفصي ولا تزال تشاهد في طريق تونس إلى باردو. (انظر = ابن خلدون وصف بساتين أبي فهر. والمقصورة في مدح المستنصر بالله حازم القرطاجني وشرحها للشريف الغرناطي. ووصف افريقية لح.ح. عبد الوهاب. وأجراها إلى بساتين أبي فهر قرب أريانة. 6 كم في الشمال الغربي من ضاحية تونس العاصمة.

س - 15 - 9 - حمامات جبل الوسط المعدنية بها معادن الحديد. ومجاري المياه الحارة المكبرتة وأثار حمامات رومانية وبركها ومدافيها وغرفها الأنيقة. وقد أجريت عنها حفريات بعد الاستقلال وأحدث بها متحف لطيف. وغرست رباها غابات جميلة.

س9.35 الارتحال

زغــوان

س10 - الوصول إلى زغوان. قهوة بمقهى معبد المياه كلمة عن زغوان الرومانية والأندلسية.

زغوان: جبل عال (1294م) وبلدة اندلسية لطيفة واثار رومانية تبعد 51 كم في الجنوب الشرقي من تونس.

أ – **البلدة الرومانية**. زغوان بلد بربري النشأة ومعناه بلغة البربر «المساكن ج مسكن» واهتم به الفينقيون «1200 ق.م 146 ق.م) ثم الرومان (146 ق.م – 438م) ومن آثاره الرومانية = قوس نصر ذات فتحة واحدة في مدخل البلد ركبت داخلها قوس اندلسية لطيفة. وتزود عين عياد حنيتين وصهريجا وخزانا مربع الشكل. وهنالك سد يحتجز مياه الجدولة والارتشاح من الجبل فتزود حنيتين اخريين وحوضين كبيرين. وإلى جانب ذلك هناك عدة صهاريج أخرى وآبار، وحوض كعميد مثمن، وفي الجنوب الغربي من المدينة محتجز للمياه يزود الحنايا الكبرى المنطلقة إلى قرطاجنة، وحول الحوض معبد لعرايس المياه جميل جدا، حوّله العرب في وقت ما إلى رباط وجديلة للحمام البطائقي يقول فيها الشاعر مخاطبا للحمام =

وفي زغـــوان فـاسـتـعـلي عـلـوا
ودانـــي في تـعـالـيـك السحابا

(المسالك لأبي عبيد).

وكانت زغوان تسمى عند الرومان زيغوا zigua واللفظ بربري الأصل.

ب ـ **الآثار الأندلسية**: وفي سنة 1017 هـ 1613 م. أجلى فيليب الثالث ملك اسبانيا بقية مسلمي الأندلس. فهاجروا إلى المغرب والجزائر وتونس. فاستقبلهم بتونس يومئذ ولي صالح

موفق اهتم بافتداء الأسرى وحماية الغرباء والعناية بمهاجرة الأندلس يقال له أبو الغيث القشاش (انظر = مجلة الخلدونية مقال عن مهاجرة الأندلس بقلم العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ومناقب أبي الغيث القشاش بخزانة الزيتونة بتونس).

واهتم بإيوائهم عثمان داي (انظر = ابن أبي دينار = المؤنس في أخبار افريقية وتونس) فقسمهم إلى أرباب فلاحات ومتاجر وصناعات.

وكانت البلاد يومئذ خرابا من جراء الاحتلال الاسباني، وقسم أرباب الفلاحة إلى ثلاثة أولهم فلاحو الأنهار وأسكنهم ضفاف نهر مجردة فأسسوا به غار الملح وعوسجة ورفراف وراس الجبل والماتلين وبني عطاء والعالية والقنطرة والجديدة وطبربة وقريش الواد ومجاز الباب والسلوقية والعاصمة الأندلسية الكبرى تستور.

وأسكن أرباب السهول في الوطن القبلي وهو شبه جزيرة تسمى الجزيرة القبلية أو شبه جزيرة شريك فتحها معاوية بن حديج الفهري. فمن مدنهم هناك = سليمان وقرنبالية ونيانو وبللي وباطرو ومنزل بوزلفى وبني خلاد والبريج وقربة ونابل وغيرها.

وأسكن أرباب الجبال بالعالية وسيدي زكري وزغوان على الخصوص.

وجلب هؤلاء الأندلسيون معهم المزروعات الأميركية من بطاطس وطماطم (بندورة) وبامية وقطاني وتين شوكي (هندي) بالتونسية منسوب إلى هندان أميركا الحمر). فتغيرت المزروعات التونسية. كما جلبوا الحمضيات الجديدة التي استحضرها البرتغاليون من الهند والصين. وقد كان الأغالبة قبل ذلك جلبوا صنوفا أخرى من الحمضيات نشروها بأوروبا عن طريق صقلية والأندلس. وجلبوا صنوفا أخرى من المزروعات من الأندلس مثل «التين» القوطي أو الزعفران أو التفاح إلى غير ذلك. كما جلبوا أساليب جديدة في ملكية الأرض (السويرتي Suerte) أو في الأساليب التقنية الفلاحية، أو المصنوعات المتولدة من الفلاحة = (الجبن التستوري وأنواع المربيات والمعاجين والمصبرات) والعجين المثقوب المعروف بمقرونة الإبرة.

وأما أرباب الصناعات وأكثرهم صناع الشاشية (الطربوش المغربي، والحرير والزليج (القاشاني).

- انظر عن الأندلس = ع.ك = المدن الأندلسية بتونس. مجلة الأسبوع أفريل ماي 1953.

G. Marçais: La mosquée de Testour

Peysonnel: voyages

- تعريب مصطفى زبيس ونشر مجلة المباحث.

- ابن أبي دينار = المؤنس في أخبار افريقية وتونس.

وتبدو لك زغوان مدينة أندلسية جميلة ضاحكة تتقاطع شوارعها اللطيفة على زوايا قائمة وتبدو منائر جوامعها

الأندلسية رائعة، وبها ضريح الولي علي بن أحمد عزوز (أصله من المغرب وتوفي سنة 1222هـ، أنظر عنه = حسين خوجة = ذيل بشائر أهل الإيمان) وقد بنى زاويته ومدرسته على الطراز الأندلسي الرائع به الزليج (القاشاني) الأندلسي والنقش العربي والخطوط الكوفية المزخرفة.

وقد اشتهرت زغوان بالأطعمة الأندلسية وأشهرها السفافيد الأندلسية وكعك زغوان المحشو بالفستق ومربى زهر البرتقال والزيتون المسكي المملح على الطريقة الأندلسية.

س 10.30 ذهاب

10.45 = عين مذاكر، مرور بدون وقوف

عين مذاكر - Mediccera مديكارا الرومانية واقعة في سفح جبل عند ابتداء سهل وهضاب بها آثار رومانية متسعة، وحوض لاحتباس المياه مع قنوات وصهريج - جير - مدفنان بشكل معلمين، سور بيزنطي.

تكرونة

س 10.55 - تبدو على جبل قرية **تكرونة** البربرية قد تربعت على «عنق الجبل» مثل عش النسر، ومن هنا جاء اسمها البربري تاكرونة - التونسية الكرومة - وتكرونة بالأندلس بمعنى العنق والنخاع. ولعلها كلمة رومانية كرونة = تاج قد بربرت لأنها كالتاج في راس الجبل. مدينة لطيفة وهي من سلسلة المدن

البربرية الواقعة على سفوح الجبال أو قممها. لكن أهلها عرب ولسانهم عربي قريب من الفصحى وهي تكون الفاصل اللغوي بين لهجات الشمال ولهجات الجنوب. انظر = عبد الرحمان قيقة و W. Marçais: Le dialecte arabe de Takrouna

المفيضة

س 11 - الوصول إلى **المفيضة**، وتكتب «النفيضة» بالنون والميم أولى لأنها محل فيضان المياه المنسابة إليها من الجبال التي حولها، ويخترقها وادي «البرك» ج بركة بمعنى الحوض وهذا دليل آخر على المعنى، وكانت المفيضة مرحلة من مراحل الانتقال من تونس إلى سوسة وبها «دار الباي» أي القصر الذي ينزل به باي المحال الذي هو ولي العهد عند ذهابه إلى الجنوب لاجتباء ضرائب الزيوت والتمور في رحلة الشتاء.

أما من الناحية الرومانية فالمفيضة هي مدينة «أوبينة Uppena» الرومانية وهي في مدخل البلد وآثارها الجميلة مجموعة في المتحف الذي دشنه أخيرا سيادة كاتب الدولة للشؤون الثقافية كانت «أبينـه» مستعمرة وبلدية رومانيتين على عهد الامبراطـور قسطنطين. وبها آثار متسعة منها حوض سباحة وكنيسة ملوكية ذات بلاطات nefs وبها حوض تعميد جميل وأقيمت على أنقاضها كنيسة ثانية في العهد البيزنطي، قلعة بيزنطية ويوجد على مقربة منها في المكان المسمى بسيدي عبش

المشرف على المفيضة كنيسة ملوكية أخرى ذات ثلاث بلاطِات مع حوض تعميد.

وفي المتحف مجموعة فسيفساء على المقابر من العهد النصراني جميلة وطريفة. وصارت المفيضة قبل الحماية أرضا على ملك الوزير خير الدين باشا فباعها لشركة استعمارية فرنسية احتجزت منها 100.000 هكتار غرستها زياتين وأجلت سكانها من بني سعيد، وكانت مصدرا من مصادر الاستعمار إلى أن استرجعتها حكومة الاستقلال ووزعت أراضيها على السكان وأقرتهم في قرى نموذجية جديدة.

انظر = Jean Ganiage – les origines du Protectorat

س 11.15 الذهاب

القيروان

س 12 – الوصول إلى القيروان، زيارة بركة الأغالبة وأبي زمعة البلوي.

بركة الأغالبة – كانت القضية الأولى التي اهتمت بها الحكومات الإسلامية بديار المغرب هي قضية الري، وقد أخذت عن البونيقيين والرومان طرق الري التي وجدتها في البلاد. ثم أخذت عن الجيش اليمني الفاتح طرق الري الجبلية فطبقتها بباجة وتبرسق وغيرهما وأخذت مناهج الري النهرية عن الجيش العراقي فطبقتها في واحات توزر ونفطة وقفصة

وقابس وغدامس، وأخذت طرق الري الشامية فطبقتها بالشمال حيث كان الجند الشامي.

ووجه الأغالبة عنايتهم إلى هذا الانجاز الضروري فطبقوه - علاوة عن المناهج اليمنية والعراقية والشامية بثلاثة مناهج أخرى =

أولاً = البرك الكبرى حول المدن.

انظر = Solignac–l'hydraulique aghlabite فتكون هناك برك مسدسة أو مثمنة أو مستطيلة تنساب إليها مياه الجبال أو الرشح. ومنها بركة الأغالبة هذه بالقيروان وبركة رقادة.

ثانياً = الحنايا ومنها حنايا سردانيا البلدة المنتزه الخسروانية التي بنيت تذكاراً لفتح جزيرة سردانيا.

ثالثاً - المواجل (الصهاريج) الـ360 حول المدن على حساب أيام العام الهجري. وصف لنا بركة الأغالبة بالقيروان أبو عبيد البكري في كتابه المسالك والممالك، وتحدث عنها G. Marçais في Manuel d'Art musulman. وقد كانت حول القيروان 16 بركة هذه آخرتها قطرها 80م، وبها 48 عضادة داخلية وخارجية غير متصلة بالجدار فإذا كان الضغط من خارج إلى داخل اتكأت الجدران على العضادات الداخلية والعكس بالعكس ويبدو أن العرب استمدوا هذه الهندسة من السرج العربي.

وعمق البركة عشرة امتار وهي تتزود =

1) من عيون في قرارة عمقها. 2) من مياه الأمطار التي تنزل بالبركة الصغيرة وهي مسقط صفى به منقاص فكلما ركدت الأوساخ والأوحال وبلغ الماء الصافي مستوى المنقاص أنساب إلى البركة الأم. 3) من مياه حنايا الشريشيرة (سردانيا) التي لا تزال قائمة على بعد 50 كم في الشمال الغربي من القيروان وهي من أروع الحنايا العربية تفضل بعظمتها وجمالها اية حنايا رومانية موجودة في البلاد.

وفي وسط البركة كشك ذو طبقات ثلاث. طبقة لاجتماع العلماء وطبقة لاجتماع الموسيقيين وطبقة لاجتماع الأدباء. وينزل الملك الأغلبي في سفينة تسمى المذلاز مزينة بفوانيس الورق فيخترق البركة وسط أسراب الإوز العراقي (Cygne , Swan) النفورة ويصعد أي مجلس أراد.

وقد بنى البركة أبو ابراهيم أحمد بن الأغلب في القرن الثالث الهجري.

مقبرة المعافرين: القيروان مجموعة قبائل قد استقرت بها منذ التأسيس الأول، ولكل قبيلة حارة داخل سور ومقبرة خارجه. فمستقر قبيلة المعافرين داخل باب تونس، ومقبرتها خارجها. ولا يدفن بها إلا من كان من هذه القبيلة (عن المعافرين انظر = عمر رضا كحاله = معجم القبائل العربية وما به من مصادر). وأول من دفن بها أبو عبد الرحمان الحبلي المعافري أحد الفقهاء العشرة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتفقيه أهل

افريقية في اللغة والدين، فإلى جانب البعثة العسكرية للتبشير كانت هناك بعثة ثقافية.

انظر عنها = أبو العرب التميمي = طبقات علماء افريقية، ولا سيما الترجمة الفرنسية التي ذكرت مصادر التراجم. و = ع.ك = الفقهاء العشرة مجلة العالم الأدبي التونسية 1932، وع.ك = معاهد التعليم بالمغرب محاضرات بمعهد الدراسات العليا بالجامعة العربيةط. القاهرة 1957.

ومن هؤلاء العشرة أبو عبد الرحمان الحبلي هذا الذي كان بدرب أزهر المسمى الآن بدرب سيدي بلغيث.

ومن المعافرين أبو الحسن علي القابسي المعافري من بلدة المعافرين قرب قابس. وهو فقيه وبيداغوجي ألف كتاب آداب المعلمين الذي درسه أحد الأساتذة المصريين ونشره تحت عنوان التعليم على رأي القابسي. وتوفي أبو الحسن سنة 413هـ. وهو ابن خالة عبد الله بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة والقوادر ومحرز بن خلف صاحب التاريخ وديوان الشعر التاريخي التونسي الذي هو ملحمة لتاريخ تونس في غاية الروعة.

وإذا نظرنا من هنا إلى الناحية الشرقية رأينا في البعيد بناية بيضاء فيها قبر محمد بن سحنون الذي هو بيداغوجي آخر توفي سنة 254 هـ وقد ألف فيها ألف كتاب أداب المعلمين الذي نشره الأستاذ ح.ح. عبد الوهاب مع تعاليق ضافية.

- انظر عن القابسي = التعليم على رأي القابسي.

- R.:.Driss - Abul Hassan Al Gabisi

خ. زركلي = الاعلام + مصادر

ع.ر. كحالة = معجم المؤلفين + مصادر.

وعن محمد بن سحنون = زركلي = الاعلام + مصادر ع.ر. كحالة = الاعلام + مصادر

وعن البيداغوجيا التونسية = مقدمة آداب المعلمين لمحمد بن سحنون = ع.ك = معاهد التعليم = مجلة العالم الأدبي = الفقهاء العشرة 1932. ومقدمة ابن خلدون دراسة ساطع الحصري وفهرست الرصاع مخطوط الجامعة التونسية. وأزهار الرياض للمقري ج3.

- Buret - la pédagogie chez Ibn Khaldoun: la revue Tunisienne

وأما عن البيداغوجيا التونسية فيما قبل الإسلام

Marrou: l'Enseignement dans l'antiquité

ويوجد في مقبرة المعافرين قبر أبي القاسم بن ناجي من رجال القرن التاسع الهجري شارح رسالة ابن أبي زيد القيرواني وعلى الخصوص مؤلف كتاب «معالم الإيمان في تراجم رجال القيروان» ط، تونس: 1908 - 4 أجزاء والآن يعاد طبعه. وهو في الحقيقة شرح لمعالم الإيمان تأليف عبد الرحمان الدباغ القيرواني. وهو يقف في القرن التاسع الهجري وقد استدرك عليه وتممه عيسى الكناني فوقف سنة 1877. وأكمله صالح الجودي القيرواني قاضي القيروان في كتابه = «مورد الظمآن في

تراجم علماء وصلحاء القيروان فوصل به إلى ما بين الحربين. ومعالم الإيمان أغزر مادة لتاريخ الحضارة القيروانية.

وأمام مقبرة المعافرين، من الناحية الشرقية مقبرة تميم التي بها قبور الأغالبة لأنهم من تميم وسحنون وابنه محمد لأنه من تنوخ وهي من تميم وقبر أبي العرب التميمي المؤرخ.

وفي الجنوب من مقبرة المعافرين مقبرة بلي أو البلوية التي بها قبر أبي زمعة البلوي الصاحب وغيره من البلويين مثل أبي حنش الصغالي. ولا تزال قبيلة بلي موجودة - باسم مكانها على الأقل - في قرية أندلسية بالوطن القبلي تسمى بلدة بلي، فلعل القبيلة ذهبت إلى الأندلس ثم رجعت بعد الإجلاء واستقرت في بلي.

ضريح أبي زمعة البلوي الصاحب هو أحد الفاتحين وأحد غزاة غزوة الانصار (32 هـ وقيل 34) التي استشهد فيها أيضاً معبد بن العباس بمدينة باجة. روى أحاديث نحو الأربعين عن النبي صلى الله عليه وسلم وبايع بيعة الرضوان والشجرة.

انظر عنه = معالم الإيمان ج1 - ابن عبد البر = الاستيعابة ابن الأثير = أسد الغابة، ابن حجر الإصابة.

ومن الصحابة = 1) أبو زمعة بالقيروان. 2) أبو لبابة بقابس، معبد بن العباس بباجة (انظر عنه = ابن حزم = جمهرة الأنساب) وأبو زمعة يسميه الافرنج حلاق الرسول خلطا. والحقيقة أنه دفنت معه شعرات من شعرات النبي صلى الله عليه وسلم تحت أجفانه وتحت لسانه. والعادة القديمة أن فتيات القيروان كن

ينسخن مصحفا ويزوقنه ويهدينه إلى مقام سيدي الصاحب، وكذلك ينسجن طنافس ويقدمنها إليه. فهناك مجموعة من المصاحف أجملها مما بلغنا مصحف فضل سنة 294 ومجموعة من الطنافس.

والبناية جميلة جدا. بناها أولاً حمودة باشا المرادي سنة 1620، ثم بنى قبة الضريح وبنى محمد باشا المرادي صاحب الخيرات القبة الخارجية والمنارة والمدرسة والطابق الأول (1676 - 1685).

والمجموع متحف من أجمل المتاحف من الناحية المعمارية = أ) لمجموعة الزليج الأندلسي التربة وبها معظم النماذج والزليج أو القاشاني جلب صناعته من الصين هارون الرشيد. ونقله ونقل صناعته إلى القيروان اسماعيل الطلاء القيرواني سنة 249 هـ.

انظر عنه = ابن القفطي - إنباه الرواة + مصادر وهو يورد القصة.

وصنع منه ما يكفي لإكساء المحراب الجامع (انظر = أبو بكر التجيبي المؤرخ ما رواه عنه ابن ناجي في المعالم ج.2. وانتقل الزليج إلى الأندلس (مالقة بلنسية).

ثم رجع على عهد الحفصيين. ورجع مرة أخيرة عند الجلاء - 1017 - 1613. ومنه هذه المجموعة فنحن سنرى البداية بالجامع وقد رأينا النهاية ها هنا.

انظر = عثمان الكعّاك - الفنون النارية عند العرب. مجلة الثريا 1947.

وكذلك قبة الضريح والقبة الخارجية. وهما من أجمل القباب التونسية، والسقف والنقش العربي وانسجام أجزاء البناية مع بعضها في اتساق ونسبة أفضل (proportion parfaite). وما بنى الأمير المرادي محمد باشا.

بئر بروطة، وهي بئر الوطا، أول بئر حفرت بالقيروان سنة 32 عند فتح الأنصار، وهي معلم جميل به قبة لطيفة وناعورة يديرها جمل على النمط التقليدي، اتم البناية والقبة سنة 1690.

وكذلك جدد أسواق القيروان الأغلبية بعد انهدامها فبنى أسواق الربع والعطارين (1676) والسكاجين.

عن أسواق القيروان = انظر = المقدسي = أحسن التقاسيم اليعقوبي = صفة بلاد المغرب. البكري = المسالك والممالك الإدريسي نزهة المشتاق = ابن ناجي = معالم الإيمان.

وعن نظام الأسواق وحسبتها = يحي بن عمر دفين سوسة = أحكام السوق طبع مجلة معهد مدريد والابياني دفين مرناق قرب تونس = ترتيب السماسرة.ع.ك. مجلة العالم الأدبي وع.ك. الأسواق التونسية = مجلة المباحث 1947.

س 13 - زيارة السيد الوالي. ومأدبة غدا.

س - 14.30 - زيارة رقادة وقصر الرئاسة كان الأمراء المنتدبون إلى القيروان من المدينة أولاً ومن القاهرة بعد ذلك،

ثم من بغداد في النهاية أي من سنة 27 هـ، إلى سنة 184 حيث فاز الأغالبة بالاستقلال الداخلي. يسكنون قصر الامارة القريب من جامع القيروان، ثم ان الملوك ميالون إلى الابتعاد عن المدينة خشية الانقلابات فبنى الأغالبة =

أولاً - العبّاسية على 3 كم في الجنوب من القيروان وسموها القصر القديم.

بقيت بالقصر القديم بعض البرك والآثار الممحوة. وقد أجرى بها جورج مرسى بعض الحفريات، لكن لم يطل بها الأمد.

أنظر عن القصر القديم:

دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة (فرنسية أو انقليزية مادة Abbassia + المصادر.

ثانياً - رقادة - على سبعة كم في الجنوب من القيروان بناها الأغالبة وأسسوا بها قصورا = انظر - معجم البلدان لياقوت، والبكري، والإدريسي ولا سيما = الحلة السيراء لابن الأبار ط. القاهرة.

وبقي من رقادة = البركة الكبرى التي هي أكبر من بركة القيروان بكثير وهي على غرارها إلا أنها مستطيلة.

والحمامات وبعض المباني التي كشفت أخيرا.

وتغذي البركة حنايا الشريشيرة (سردانيا)

ثالثاً - المنصورية، بناها المنصور الفاطمي بعد انتصاره على الثائر البربري الرياضي مخلد بن كيداد، وهي قرب باب سلم من أبواب القيروان، وقد أجريت بها حفريات طيبة من سنة 1947 - إلى 1952. فكشفت عن معامل الزجاج الفاطمي والصنهاجي وحمامات وبقايا قصور والبركة الجميلة جدا. وهناك متحف لهذه الآثار الفاطمية الصنهاجية.

انظر عن المنصورية = ح.ح. عبد الوهاب «بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق».

قصر فخامة الرئيس - ينتهج فخامة الرئيس سياسة إحياء المعالم التونسية وعناصر الحضارة العربية الإسلامية بهذه الديار فمن ذلك المعمار الإسلامي المدهش الذي ما زال يسعى لبعث أصوله والمحافظة على معالمه وترميم ما تداعى منه.

فمن ذلك أنه أحيا جامع الزيتونة بتونس وجامع الفاطميين بالمهدية وجامع الموحدين بقصبة تونس وجامع عقبة بالقيروان وجامع الأغالبة بسوسة ورباط هرثمة بالمنستير، ورمم أسوار المنستير وسوسة وصفاقس الأغلبية، فها هو ذا قد أمر باجراء الحفريات برقادة وبعث بركتها وبنى قصرا جعل أصوله وفق المعمار الافريقي الأغلبي السليم حتى تنبعث رقادة من مرقدها.

س - 16.00 - زيارة جامع عقبة ومكتبة بيت الحكمة والمتحف، ومدافن التميميين (سحنون والأغالبة وابي العرب الخ...)

جامع عقبة = يوجد جامع عقبة بـ «السماط الأعظم» الذي حدثنا عنه البكري وقال ان طوله 3 كم تزيد بين باب أبي الربيع شرقا وباب تونس غربا، وباب تونس مجده الجاحظ في كتاب الحيوان وقال أنه من أجمل أبواب الدنيا، وكان عند بركة الأغالبة فنقل إلى رحبة هشام لتصاغر المدينة التي تحولت من 600.000 ساكن على الأقل إلى أربعين ألفا.

وكان السماط الأعظم عريضا جدا وبه الأسواق والمتاجر، وتقع به حفلات الليالي الفاضلة والأعياد الكبرى والمهرجانات التي كان يحييها الأغالبة وقد حدثنا عنها ابن العذاري في كتابه «البيان المغرب»، وبنى الجامع عقبة بن نافع الفهري الفاتح الكبير سنة 51 هـ، وجعله «قيروان افريقية» أي مركزا اساسيا للجيش.

وذلك أن «عظم الجيش» le gros de l'armée كان بالمدينة، ففتحت منه مصر لأنها قريبة الدار من المدينة ويمكن استمداد العدة والعدد بسهولة من معسكر المدينة الذي كان به عظم الجيش، فلما أراد عمرو فتح افريقية (ليبيا وتونس) صار مركز المدينة بعيدا لا يفيد بالامداد، فبنى عمرو فسطاط مصر، من اللاطينية fossatum أي الخندق من باب اطلاق الظرف وارادة المظروف، فهذا هو معسكر عمرو، ثم لما أرادوا فتح المغرب صار الفسطاط بعيدا، فبنى عقبة «قيروان افريقية» لذلك تبدو مساحة الجامع غير متناسبة مع مساحة المدينة، فبيت الصلاة

ثكنة ومصلى والصحن مجمع للجنود ومصلى والمنارة مئذنة ومجموعة قلاع، وهلم جرا.

وبنى عقبة الجامع سنة 51 بالياجور على غرار جامع الكوفة، وفي عهد هشام بن عبد الملك الأموي (724 - 725) الذي زار تونس وفتح بنزرت وبنى رحبة هشام بالقيروان ثم بناء معظم الجامع من جدران ومضاءاتها ودكاكينها لاجتماع المسلمين والنظر في شؤونهم بعد منصرفهم من صلاة الجمعة حسب الآية الكريمة، وحماية مادية ومعنوية للاساس وكثير من بلاطات المسجد والصومعة ذات الشكل الهرمي المقطوع.

ثم أن زيادة الله الثاني وسع بيت الصلاة سنة 836 وزاد فيها أيضاً أبو ابراهيم أحمد سنة 862 وإبراهيم الثاني سنة 875. فزيادة الله بنى القبة المبرجة ذات الخراطيم والمحارات، وقد حل بذلك المهندس القيرواني مشكلة معمارية هي وضع نصف مستدير على مربع فحلها حلين بدل واحد. أما أولاً فضاعف المربعات وعدد الأضلاع من أربع إلى ثمان إلى ستة عشر وكلما تضاعفت الأضلاع قاربت الاستدارة، ومنها أنه سد الفجوج الباقية بالخراطيم. والقبة أروع قبة عربية بالمغرب، لما فيها من نقوش وخطوط كوفية مزخرفة مزهرة معرشة ومتعانقة ولما فيها من مضاوي وقمريات وشمسيات، وهي نقوش في الجص مخرمة بها فصوص من زجاج ألوان تتألف منها زخارف نباتية وهندسية وزهريات بحيث أنها أحد القمريات التي ظهرت في أوروبا في القرن الثاني عشر.

وأما المحراب فإنه محراب ثان وضع امام محراب عقبة الذي لم يشأ المجدد أن يهدمه وجعله من الرخام المزخرف المنخرم المختوم، ومعظم زخرفه من عرائش العنب ويظهر من ثقوبه وتخاريمه محراب عقبة.

وأبدع ما في المحراب قبته التي هي من الدهن الزيتي الوحيدة من نوعها معرشات كروم.

وحلق المحراب وواجهته من الزليج (القاشاني) الذي جلب منه اسماعيل الطلاء 120 أو 130 زليجة وصنع الباقي وهي مجموعة نموذجية كاملة مختلفة الزخارف.

والمنبر صنع من خشب الساج، الذي كان جلب من الهند الصيني لصناعة عيدان الطرب فلما تاب أبو العباس محمد بن الأغلب بنى منها منابر افريقية وسقوف جوامعها (القيروان والزيتونة على الخصوص). والقصة مشتهرة أوردها ابن ناجي في معالم الإيمان الجزء الأول.

والمنبر مؤلف من آلاف القطع غير مسمرة ولا ملصقة بالغراء ولكنها ملفقة انثى في ذكر وبها زخارف هندسية كاملة ونباتية شاملة.

وهنالك أيضاً المقصورة وهي بناء المعز بن باديس الصنهاجي سنة 404 عند ما كثرت مخاوفه بقدوم بني هلال، وهي أيضاً من خشب الساج وأروع ما فيها خطوط الكوفي المزهر المنقوش في

صميم خشب الساج وارتباط الحروف بعرائش من الكروم في غاية الروعة، ولا يوجد شبه لها إلا في قبة آمدة بالمشرق.

وسقوف جامع القيروان هي أيضاً من خشب الساج bois de Seck من نفس الأخشاب التي جلبت لصنع عيدان الطرب، وقد زخرفت جوائز السقوف بأنواع الطلي واللك والليقة المبدعة، ولا تزال تشاهد إلى الآن.

وأما أعمدة الجامع فهي فينقية ورومانية وبيزنطية وعربية، والعربية أغلبية وفاطمية وصنهاجية، فالتيجان الرومانية والبيزنطية هي في الغالب مزخرفة بنقوش تحاكي ورق الأقنتى acanthe (الخرشوف) وأما الأغلبية فهي تحاكي ورق العنب المخرم توضع داخلها شموع للإرسالات النورية المختلفة الألوان ترتسم مرتعشة بهيجة على ما يقابلها بصور أوراق الكروم وعناقيدها مختلفة الألوان ثابتة أو مضطربة حسب مهجة المتصوف الذي أبدع أحكامها.

وأما التيجان الفاطمية فهي تصوّر صقورًا في كل جهة والصقور هي رمز الفاطميين وأما التيجان الصنهاجية فهي تمثل خاتماً منقوشاً في أعلى العتقى وتربيعة فيها آية قرآنية بالخط الكوفي المزهر، ومع أن جامع القيروان هو مزيج من عامة الفنون الافريقية أي فنون عامة الشعوب التي احتلت البلاد من البربر إلى العرب فانه رغم ذلك مدموغ بالطابع الافريقي البحت، مثل لكليلة ودمنة الذي أصله البانست طنطرا ثم صار معلما من معالم الأدب العربي ليس فيه أي اثر من آثار العجمة.

انظر = عن جامع عقبة: ابن ناجي = معالم ج1 البكري = المسالك والممالك

G. Marçais - Manuel d’art Musulman

G. Marçais - la coupole de la Mosquée de Kairouan

Saladin - la mosquée de Kairouan

Creswell - early muslim art.

دكتور أحمد فكري = جامع القيروان

وصار جامع القيروان مثالا يحتذي في المعمار المغربي، فعلى غراره بني جامع قرطبة ومن جامع قرطبة بنيت كنيسة سنتياقب

St. Jacques de compostelle

E. Lambert - l’art en Espagne et au Portugal

G. Marçais - Manuel d’art Musulman

Gonzalès Palencia - El Islam y occidenté.

Surrano - Summa Artis

وظهر الفن المدجن L’Art Mudejar وهو أن الاسبانيين عندما يسترجعون مدينة من العرب يستبقون بها المزوقين والمعماريين والبنائين والنقاشين والموسيقاريين ليبنو لهم قصورهم وكنائسهم واديرتهم على مقتضى الفن المعماري المغربي الاندلسي مع مراعاة ضرورات النصرانية. وكانت كنيسة سنتياقب هي المثال المحتذى يقيس عليه الحجاج إليها من كافة أوروبا ينذرون النذران يبنوا ببلدهم كنيسة على غرارها. فانتشر الفن المدجن بأوروبا على هذا الغرار.

Gonzales Palencia – Ēl Islam = انظر عن الفن المدجن
y occidenté

A. Fikry – la cathédrale du Puy - Bibliographie

ع.ك حضارة العرب في جزر البحر المتوسط محاضرات معهد الدراسات العليا بالجامعة العربية. ط. القاهرة 1965.

l'art en Espagne et au Portugal - E. Lambert

الأسوار والأبواب = وللقيروان أسوار وأبواب، بنى السور الأول محمد بن الأشعب سنة 144، وجدده الأغالبة، وهدم فيما بعد وجددته صنهاجة، وهدم وجدده علي باشا الحسيني مثلما هو مكتوب على باب تونس وغيره من الأبواب.

وأهم أبواب القيروان = باب سلم أو باب أصرم جنوبا أمام مقبرة قريش المعروفة بالجناح الأخضر لما فيها من العلماء والأشراف وقد دفنت بها الحفيدة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب (معالم الإيمان ج1.) وعن مقبرة قريش انظر = زبيس نقائش القيروان، ومحمد طراد = رفع الجناح عمن دفن بالجناح، وأقدم قبر بها بعد قبر الحفيدة هو قبر سليمان بن عمران القاضي المتوفي سنة 275 هـ، وهذه المقبرة مجموعة تاريخية لعلماء القيروان ويعدون بالالاف وهي معرض للخطوط الكوفية والنسخية عديم النظير.

ثم هناك باب تونس، وباب أبي الربيع... الخ...

مكتبة القيروان = المكتبات قديمة بتونس وأقدمها مكتبة قرطاجنة البونيقية المؤسسة في القرن السادس ق.م. كانت بها

كتب على البردي Papyrus بالبونيقية واللوبية واليونانية وكانت توجد في جبل برسه حيث معبد اشمون.

ولما استولى الرومان على قرطاجنة اثر الحرب البونيقية الثالثة وزعوا تصانيف المكتبة على امراء البربر واحتفظوا بدائرة المعارف الزراعية التي ألفها ماغون القرطاجني وصدر أمر من مجلس الشيوخ الروماني بنقلها إلى اللاطينية، فكانت منهبة لعلماء الزراعة من رومان ويونان مثل فارون وكولوميس وقاسطوس وافلينوس.

انظر = عن مكتبة قرطاجنة. ع.ك. تاريخ المكتبات التونسية مجلة السبيل 1945.

S.Gsell - l'Afrique du Nord dans l'antiquité IV

وعن موسوعة ماغون = ع.ك. موسوعة ماغون تقويم المنصور تونس. وS.Gsell

L'Afrique du Nord dans l'antiquité vol IV.

واعتنى الرومان بالمكتبات فأسسوا كثيرا منها بقرطاجنة وغيرها. وأهمها مكتبة جامعة قرطاجنة.

انظر = Paul Monceau : les Africains.

واهتم العرب بالمكتبات. فأسسوها بافريقية =

1) في الجوامع ولا سيما جامع عقبة.

2) في الأربطة التي كان عددها ألف رباط بين طنجة والاسكندرية.

3) بيت الحكمة. أسسه زيادة الله الثالث قرب الجامع الأعظم بالقيروان سنة 293. وجعله مكتبة عامة للتآليف العربية وغير العربية. ودار ترجمة لكتب البربر والبونيقيين والرومان وفيه ترجمت تواريخ البربر التي ألفها ملوكهم أمثال يوبا الثاني. ويوغرطة والتي اعتمد على ترجمتها عبد الرحمان بن خلدون في قسم تاريخ البربر من كتابه الجامع ديوان العبر وترجم بها تاريخ طيطليوش الروماني ومنه نسخة بجامع القرويين بفاس وترجمة الخرناقة chronaqa ومنها نسخة بمكتبة الكنغرس باميركا. وكتاب هوروشيوس Paulus Orosius الذي كان يعيش في القرن الخامس باسبانيا وألف كتابا في تاريخ الرومان اسمه adversus Paganos أي تصنيف في بيان محاسن تاريخ الرومان في العهد النصراني وبيان مقابحها في العهد الوثني. واعتمد ابن خلدون هذا الكتاب من مصادر القسم الروماني بتاريخه. ويسميه ابن خلدون هرشيش وصوابه هوروشيش ولعدم وجود الحركات وقع التحريف. والكتاب موجود في العربي مخطوط.

انظر = ع.ك. مصادر التاريخ الروماني عند ابن خلدون مجلة المباحث التونسية وبيت الحكمة هو أيضاً الجامعة التي كان يدرس بها الطب والفلك والرياضيات.

انظر =

Dr. A. Chérif : la medecine arabe en Tunisie

Dr. A. Ben Milad : l'école de medecine de Kairouan

وعن بيت الحكمة = ابن الابار صلة الصلة = ترجمة ابراهيم الرياضي البغدادي مدير بيت الحكمة وترجمه أيضاً الزركلي في الأعلام وكحالة في معجم المؤلفين مع إيراد المصادر.

ع.ك = بيت الحكمة. جريدة النهضة التونسية 1945.

ح.ح. عبد الوهاب = بيت الحكمة وفي المقارنة بين بيت الحكمة والجامعات التي أسسها العرب بأوروبا انظر = ع.ك = حضارة العرب في جزر البحر المتوسط. ع.ك = الجامعات المغربية وأثرها في إنشاء الجامعات بأوروبا محاضرة ألقيت بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط ونشرتها مجلة البحث العلمي ديسمبر 1965.

ولما انتقل الفاطميون إلى مصر نقلوا معهم معظم الكتب التي ببيت الحكمة وضموها إلى دار العلم بالقاهرة المعزية.

وقد بقيت بمكتبة القيروان كتب الفقه والمصاحف ومعظمها على الرق القيرواني وأفضله الرق الأزرق. أو على الكاغذ الذي دخل القيروان من بغداد على عهد الاغالبة وصارت تصنعه النسوة في البيوت والرجال الكغاذون في الأربطة.

واختراع الكاغذ كان انقلابًا ثقافياً ذا خطر سمح بإيجاد الدروس الكتابية التي كانت مستحيلة قبله لارتفاع ثمن الرق أو جلد الغزال. وسمح بكتابة النسخ ولا سيما في الأربطة حيث يتوفّر النسّاخون.

والخطوط المستعملة هي الكوفي المغربي في المصاحف، والنسخي المغربي في غيرها انظر عن الخطاطة وأنواع الخطوط العربية =

ع.ك = الوساطة في الخطاطة مجلة المباحث 1947.

ع.ك = تاريخ الخطاطة التونسية مجلة المكتبات بالقاهرة.

وابدع الخطوط الكوفية هو الكوفي البديع وهذا نعت لا مجرد تحلية، وهو الذي امتاز بشدة الاستغلاظ والاستدقاق ومنه مصحف الحاضنة بمكتبة القيروان

عن الكوفي البديع انظر مجلة Arts Islamica الاميركية سنة 1949.

وقد تداولت على القيروان بوجه عام =

أولاً - الولاة = 27 - 184 حسين مؤنس، رياض النفوس للمالكي

ثانياً - الأغالبة = ع.ك. المجتمع التونسي على عهد الأغالبة

Vanderheyders - la berberie Orientale dans les aghlabides

دائرة المعارف الإسلامية مادة = أغلب + المصادر، لا سيما الطبعة الجديدة

ثالثاً - الفاطميون = 296 - 371

المقريزى = انعاظ الحنفاء

ابن حماد أخبار ملوك بني عبيد

القاضي النعمان = الهمة في اتباع الائمة

سيرة الاستاذ جؤذر.

ديوان تميم بن المعز

رابعاً = الصنهاجيون = 371 - 555

ابن العذاري = البيان المغرب

ح.ح. عبد الوهاب = بساط العقيق. وانظر عن القيروان بوجه عام = ابن ناجي = معالم

القيروان = دائرة المعارف الإسلامية

القيروان = دائرة المعارف اليهودية

القيروان الدليل الأزرق الفرنسي

دليل القيروان = لصالح السويسي وعظوم.

وعن الأدب القيرواني =

ح.ح. عبد الوهاب - بساط العقيق

عبد العزيز الميمني الراجكوتي = النتف

زين العابدين السنوسي = المتبقى من أنموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق.

وعن علماء القيروان =

طبقات الاطباء لابن أبي اصيبعة

تاريخ الحكماء لابن القفطي.

Brockelman - geschichte der Arabischer Littérature.

وعن فقهاء القيروان =

أبو العرب – الطبقات ط. ابن أبي شنب وترجمته إلى الفرنسية مع تعاليقه.

المالكي = رياض النفوس

ابن ناجي = المعالم

عياض – المدارك

ابن فرحون = الديباج المذهب

مخلوف المنستيري = شجرة النور الزكية

س 18 – الارتحال نحو القصرين =

ونلاقي في الطريق =

الشبيكة، فندق الهوارب، حاجب العيون وجلمة

أولاً = الشبيكة قرية زراعية مثالية لاقرار البدو واصطصلاحهم، وقد انشىء الكثير من هذه القرى وأهمها

الحبيبية قرب تونس وكان بتونس مليونان من البدو الرحل فبقي منهم العشر واقر البقية في قرى ريفية نموذجية وجعل لهم مدرب زراعي ومرشدة اجتماعية ودروس لرفع الامية ومدرسة ومستشفى وجامع وشعبة دستورية اشتراكية إلى غير ذلك، واعطى كل واحد مزرعة لتفليحها، وقد كانت هذه الجهات سباسب فأنشىء بها نحو 250 بئر لإرواء عدد كبير من القرى النموذجية.

ثانياً = فندق الهوارب، قرية أخرى نموذجية بها مساكن جيوشه ومزارع من الزيتون والخوج والبرقوق وغيرها.

ثالثاً = حاجب العيون مدينة رومانية قديمة بها حمامات معدنية وقرية حديثة بها المساكن اللطيفة والمباني الجميلة والمؤسسات الإدارية والثقافية والاجتماعية.

وتسمى بالرومانية ماسكلياني Masslianae ومن أهم بقاياها كنيسة ملوكية.

انظر عنها:

Tissot - geo. Comp. II - 610

Cagnat – Explor III, - 25

Saladin – Rapport sur ma mission 1882 - 1883 p.32

رابعاً = جلمه Cilma مدينة رومانية وأسست بها الحكومة الوطنية بلدة جديدة لطيفة بها آثار عظيمة. حمامات معدنية كبرى ديار مفروشة بالفسيفساء وأسوار حنايا طولها 5 كم تنتهي إلى

خزان مربع الشكل. حصن بيزنطي، جسر على وادي المنارة في الجنوب الشرقي من البلدة.

انظر عن جلمة = 612 Tissot - Géo. II -

سبيطلة Suffetula

المدينة التاريخية الكبرى التي كانت أول ملتقى للجيش الإسلامي (جيش العبادلة لوجود سبعة قواد باسم عبد الله = عبد الله بن أبي سرح، عبد الله بن الزبير، عبد الله العبّاسي، عبد الله بن عمر بن الخطاب الخ...) سنة 27، وجرت الواقعة بين البطريق جرجير (غريغوريوس) والعبادلة وقصتها معروفة في كتب الغزوات.

والمدينة توجد في سهل مرتفع حوله جبال عالية يسكنها البربر، وكلمة سبيطلة مركبة من لفظين بربريين، سف = سوف = النهر – وتلا = تاله = العين، أيْ عين النهر، وفعلا فان نهرا يحيط بالمدينة وحوّل العرب مجراه وكان يمر بالمدينة فتحول إلى نفق جاف دخلوا منه المدينة على حين غفلة من حماتها البيزنطيين، والحرب خدعة.

آثار المدينة = كانت المدينة بلدية أهلية ثم تحولت إلى بلدية رومانية في آخر القرن الثاني للميلاد، وبها الآن آثار كثيرة ممتدة جدا، منها الفوروم أو الساحة الشعبية وقد حول في العهد البيزنطي إلى قلعة لحماية المدينة من العرب وقد قال الشاعر =

إذا لم يكن عـون مـن الله لامـرئ
فـأول مـا يجـني عليه اجتـهـاده

وبنيت حولها أساطين وأروقة من الأعمدة وغرف لرهبان النصارى، وأما الكابيتول أو المعبد الكبير فهو يتألف من ثلاثة معابد حسب الثالوث الروماني، ومن آثار المدينة معبد وقوس نصر أقامها الإمبراطور انطونينوس التقى، ذات فتحات ثلاث وبناها بين 140 و143م ومسرح بيضوي حول إلى معقل في العهد البيزنطي (الخوف من العرب دائما). حمامات معدنية شتائية شوارع مبلطة تكون مستطيلات متعادلة، وديار أنيقة جدا، وفوارات وحنايا على ضفة النهر اليسرى مع جسر جميل، قنوات لتوزيع المياه، وهناك معبد ومدافن قرب الجسر حولت إلى معاقل في العهد البيزنطي.

وكنيسة ذات خمس بلاطات وحوض تعميد منسوبة إلى الراهب فيتاليس. وخلوه ترجعان للاسقف يوكوندوس. وكلتاهما ترجعان للقرن الخامس الميلادي. كنيسة أخرى ذات خمس بلاطات وحوض تعميد منسوبة إلى الراهب فكتور وكنيسة ثالثة ذات ثلاث بلاطات منسوبة للراهب بيلاطود وكلتاهما من النصف الثاني من القرن الخامس.

وهناك كنيستان أخريان، وعلى بعد 3كم في الجنوب الغربي من قوس الثالوث كنيسة ذات ثلاث بلاطات تابعة للأسقف هونوريس (القرن السابع) حذو عدد عظيم من معاصر الزيتون الكثيرة بهذه الجهة، والزيتون ثروة البلاد ولما سأل عبد الله بن

الزبير أهل سبيطلة كيف تأتى لهم أن يدفعوا هذا المبلغ من المال حفر الأرض واستخرج منها نواة زيتون.

وسبيطلة اليوم مدينة حديثة جميلة بسامة حولها مغارس البرقوق والكمثري والخوخ والزيتون.

انظر عن سبيطلة +

- Tissot – Geo. + bibliographie
- Atlas Archeolo. De Tunisie

– ياقوت = سبيطلة.

القصرين

القصرين = سميت القصرين لوجود مدفنين أحدهما في أول البلد والثاني في آخرها والمدفن Mausolée يسمى قصرًا في اللغة التونسية.

هي مدينة سيليوم الرومانية Cilliusوضاع الاسم الروماني وانما بقي علما على جبل سمي من أجل ذلك جبل السلوم. كانت سيليوم بلدة أهلية على عهد الامبراطور وشباسيانوس أو الامبراطور تيتوس ثم صارت بلدية رومانية في القرن الثالث واقليم سيليوم وتلابت كان مرعى لقبيلتين موسولماني وممساني البربريتين وعلى الربوة المشرفة على البلدة الحالية آثار مدينة رومانية كبرى يتبين منها قوس نصر ذات فتحة اقيمت في القرن الثالث الميلادي ورممت سنة 312، ومسرح جميل لا

يزال قائم الذات، وسد كبير على نهر الدرب جدده محمد باشا المرادي في القرن السابع عشر، وحنايا كبرى وعدة مواجل، وأما في الأسفل حيث تقع المدينة الحالية فهنالك مدفن آل يتروني احدى العائلات الكبرى بالمدينة في العهد الروماني وعليه مرثية بالشعر اللاطيني تتركب من 400 بيت فيها بيان امجاد العائلة وما أقامه كل فرد من معالم بالمدينة وما أفاد به أبناء بلدته.

ثم المدفن الثاني وكانت به قصيد لآل فلافيبي وهي العائلة الثانية المزاحمة للأولى والمنافسة لها.

وهناك أيضاً كنيسة بيزنطية وقلعة وحصون.

أما القصرين في العهد العربي فقد كانت بها قبيلة قيس، وقد تحدث عنها ابن الأبار في الحلة السيراء.

انظر = عن القصرين

Tissot - geo. II 636

Guérin - voyage I 310

Cagnat - Explorations III P. 58

Saladin - Rapport - I 55 - I 56

وعن القصرين العربية =

ابن الابار = الحلة السيراء وأما الآن فان القصرين مركز ولاية وبلدة جميلة حولها مغارس البرقوق وبها معمل السليلوز المستخرجة من الحلفاء فانجازات الحكومة بها بعد الاستقلال عظيمة جدا، ومن مؤسساتها الثقافية المعهد الثانوي والمعهد

الإعدادي ودار الثقافة ومجموعة كبرى من المدارس الابتدائية، ومن الناحية السياحية بها فندق لطيف جدا، وقد أسس أخيرا جامع كبير، وهنالك الحي العسكري والحي الإداري والحي السياحي والحي الزراعي.

الساعة 19.30 الوصول إلى القصرين

(السهرة بالقصرين - فرقة الإذاعة - والمبيت بفندق سليوم)

الخميس 3/ 3/ 1966

س 8 - زيارة القصرين وسبيطلة، كلمة عنهما (انظر أعلاه ما كتب عن المدينتين)

9.30 التوجه إلى توزر.

وفي الطريق كلمة عن تلابت - فريانة - بئر أم على.

تلابت، فريانة وبئر أم علي

أولاً = تالابت - الاسم بربري والمدينة رومانية واقعة أحسن موقع في النجاد العليا التونسية.

كانت تالابت بلدية استعمارية رومانية أسّسها قدماء المحاربين الرومان في عهد الامبراطور طرابانوس، بها آثار كبرى تدل على عظمة المدينة في العصور القديمة منها مسرح كبير، وحمامات معدنية فوارات وعدة حنايا وسدود لاحتباس المياه

وصهاريج مستديرة وهناك أيضاً عدّة صهاريج خاصة وآبار وجسور وتوجد بالبلدة سبع كنائس ملوكية، اثنتان ذاتا خمس بلاطات وواحدة ذات بلاطات ثلاثة، وتوجد أربع خلوات وقلعة بيزنطية مستطيلة لها أبراج مربعة في زواياها.

انظر عن تالابت.

Tissot - Geo II - 648

+ Bibliographie

فريانة = بلدة عربية جميلة تحيط بها غابات الجوز والنخيل والفستق والزيتون وسط اطار من الجبال، وقد كانت دار علم في القديم وتحدث التجاني في رحلته عن العلماء الفريانيين عندما تكلم عن صفاقس، وذكرها ياقوت في معجمه، وانظر عن فريانة أيضاً = مصادر + Tissot Geo. P.II - 675

بئر أم علي = بلدة بها آثار العصر الحجري ثم العصر الروماني، وكانت تسمى في العصر الروماني الونيانوم Alonianum والطريق الرومانية العسكرية تبدو هنا ظاهرة.

انظر عن بير أم علي = Tissot – II – 680

توزر

س 11 – الوصول إلى توزر – استراحة قليلة

توزر = مدينة بربرية في الأصل يدل على ذلك اسمها Tusuros توزورس، وعدة أماكن منها ومن غاباتها وأحوازها تحمل أسماء بربرية كردبوس، دقاش، تقيوس – ميداس إلى آخره.

كانت تسمى في العهد الروماني توزوروس Tusuros وبقي بها من ذلك العهد بئر مربعة وبناية مربعة أقيمت فوقها مئذنة بلاد الحضر، ومنها سد وادي البرقوق الذي يسميه البكري وادي الجمل وهو مركب من صناديق كبرى من الاحجار، وهناك بقايا كنيسة ملوكية كانت مزدانة فيها سلف بعدة صفوف من الأعمدة، وتشاهد هنا وهناك بقايا أعمدة وتيجان وصناديق أحجار لا سيما في أساس البيوت.

انظر عن توزر الرومانية =

Ptolemée - IV - III - 38

Morelli - Africa Christiana I - 34I

Guérin - Voyage I - 258 - 264

Tissot - Géo.II - 684

Playfair - Travels - 267

توزر العربية =

زر تـــوزرا إن شئت رؤيـــة جنة
تجـــري بهـــا مـــن تحـتـك الأنهـــار

نهـــر عـــلى رمـــل، يـسـير كـأنـه
ورق يـــماع عـــلى الـنّـضـار يـمار

أبـا وفاكهة - حـوت - وحدائقا

غـلـبـا تـغـرّد فـوقـهـا الأطـيـار

جـنـاتها مـثـل الجـنـان، فارضها

مـسـك، ونـشر نسيمها معطار

دوح يـرف ومنظر يسبي النهى

وبـرود روض وشيها الأزهـار

ومـذانـب مثل القواضب جردت

خلعت عليها لـونـهـا الأشـجـار

وتـنـاثـرت مثل الـدراهـم فوقها

أنـوارهـا، فـتـضـاعـفـت أنـوار

وإذا يهـب نسيمها ذاعـت به

مـن نـشر أزهـار بهـا أسرار

والـنـخـل مـثـل عـرائـس مجلوة

تـبـدي بـديـع حليها الأطـوار

وإذا هـززت بجذعهن تساقطت

رطـبـا جـنـيـا، نـثـرهـن نـثـار

قطر مـن الأقـطـار أشرق حسنه

فـكـأنـما الـلـيـل الـبـهـيـم نهـار

كـم فـيـه مـن معنى جميـل رائـق

تصبو لـرؤيـة حسنه الأبـصـار

كملت محـاسـنـه وطـاب حديثه

فـبـذكـره تـتـزيـن الأسـمار

هكذا قال في توزر بعض شعرائها القدامى، فهل هناك تقديم لهذا البلد الأمين أجمل من هذا؟

قال التجاني في رحلته =

«... وتوزر هي قاعدة البلاد الجريدية، وليس في بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياها، وأصل مياهها من عيون تنبع من الرمل، وتجتمع خارج البلد في واد متسع وتتشعب منه جداول كثيرة وتتفرع عن كل جدول منها مذانب يقسمونها بينهم على أملاك لهم، مقررة مقاسم من المياه معروفة، وهم على قسمتها أمناء من ذوي الصلاح فيهم يقسمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم في ذلك معروف، وأمر مقرر مألوف، وعلى ذلك الماء أرحاء كثيرة منصوبة (مثل أرحاء حماه وحمص بسوريا وأرحاء فاس بالمغرب).

ومن العجب أن هذا الوادي يحتمل ما يحتمل من غثاء أوغيره فإذا انتهى إلى المقسم افترق هناك أجزاء بالسوية على عدد المسارب فمضى كل قسم منها إلى مسرب منها، وهذا مما شاهدته فيها عيانا.

أهل توزر = وأهل توزر = 1) من بقايا الروم الذين كانوا بافريقية قبل الفتح الإسلامي وكذلك أكثر بلاد الجريد لانهم في حين دخول المسلمين اسلموا على أموالهم، 2) وفيهم قوم من العرب الذين سكنوها بعد الفتح، ويضاف اليهم أقوام من عرب الفتح الثاني في آخر القرن الرابع وهم الشّابّية. 3) وفيها

أيضاً من البربر الذين دخلوها في قديم الزمن عند خروجهم من بلادهم (التي هي اليمن).

مساكن أهلها = قال التجاني = «وكثير من أهلها انما يسكنون بغابتها ولا مناسبة بين مباني الغابة ومباني داخل البلد فان مباني الغابة أضخم وأحسن.»

وتوزر هي بلد عراقي من حيث المناخ والواحة والنهر والقبائل العربية واللباس والموسيقى.

وبناء توزر كله من الاجر البسيط أو المخلوط بالزجاج يؤلف إلى بعضه بارزا وغائرا فتتكون من ذلك زخارف متنوعة أخاذة.

وأهم جهات توزر هي:

منتزه المنشر، وهو الذي به الآن نادي أبي القاسم الشّابّي =

قال التجاني = «ومتفرجهم بموضع يعرفونه بباب المنشر، وهو من أحسن المتفرجات لأن مجتمع الماء هنالك ومنه يتفرع - كما تقدم - ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك من الثياب الملونة والأمتعة الموشية ما يعمه على كبره، فيخيل للناظر أنه روض تفتحت أزهاره واطردت أنهاره وليس بتوزر أحسن من هذا الموضع، وهو خارج عن غابتها، والغابة ملاصقة لسور المدينة فهي - بذلك - تمت حصانتها.

مصلى توزر - عادة المالكية أن يصلوا العيدين والاستسقاء في جامع خاص يسمى المصلى ويقع خارج البلد ويكون غير مسقوف.

ومصلى توزر يقع خارج البلد أيضاً، وهو مصلى كبير يحدق به حائط مرتفع.

قصر بني يملول، وبنو يملول ملوك توزر في العصر الموحدي، وقصر بني يملول يقع وسط الواحة، قال التجاني = «ودخلنا نحن مع مخدومنا إلى روضة بغابتها لرئيس البلد أبي العباس بن يملول.»

وقصر بني يملول لا تزال آثاره في غابة توزر إلى يوم الناس.

معالمها = قال التجاني = وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحد.»

والمقصود بالبلد بلد الحضر وهو توزر القديمة التي لا يزال جامعها الكبير موجودا وصومعته خارجه في فنائه، وبه مدافن عظماء توزر = ابن الشباط مهندس مياهها ومؤرخها وعبد الله الشقراطسي صاحب القصيدة الشقراطسية التي أولها =

الحمد لله منا أحمد النسبل

هدى بأحمد منا أحمد السبل.

ومن علماء توزر وأدبائها =

1) الحسن بن إسماعيل القرشاني القصطيلي ذكره القاضي عياض في المدارك، وهو من تلاميذ سحنون، تخرج عليه في الفقه المالكي.

2) عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الكناني التوزري، ذكره القاضي عياض في المدارك.

3) عبد الله الشقراطسي

هو أبو محمد عبد الله بن يحي بن علي بن زكرياء الشقراطسي نسبة إلى قلعة بالقرب من قفصة، وهو من أبناء توزر، ولد بها في القرن الرابع، وأخذ العلوم بالقيروان، ثم حج وعاد إلى بلاده، وأقرأ العلم بها ونشره وأخذ عليه أعلام منهم ابن النحوي التوزري أبو الفضل.

وكان له الباع الطويل في العلوم الدينية وفنون الآداب، وقد اشتهر بقصيدة فريدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وفي سيرة الصحابة وهي المعروفة بالشقراطسية انشدها بالمدينة تجاه القبر الكريم، وشرحها جماعة من العلماء منهم ابن الشباط التوزري في مجلدات، وخمسها عثمان بن عتيق المهدوي (ترجمته في رحلة التجاني)

توفي الشقراطسي سنة 466 هـ.

انظر عن الشقراطسية = كشف الظنون للحاج خليفة مع بيان شروحها وشارحيها وعن الشقراطسي Brock:lmann والزركلي وكحالة.

4) محمد بن الشباط الشاعر الكاتب المؤرخ المهندس ولد بتوزر سنة 616هـ. هو ابو عبد الله محمد بن علي التوزري المعروف بابن الشباط أحد أعلام العلماء وصدور القضاة الفضلاء له معارف جمة وتاليف مفيدة، أخذ عن أعلام منهم الشقراطسي وأخذ عنه جماعة منهم محمد بن حيان الشاطبي، له شرح على التخميس الذي خمس به الشقراطسية وهو كتاب ادب أطال فيه الحديث عن تاريخ توزر وعلمائها ومعالمها.

وهو مقسم مياه توزر، وله تأليف في ذلك.

توفي بتوزر وبها قبر في بلد الحضر سنة 681هـ.

5) محمد بني الكردبوس التوزري، ترجم له مطولا (داينهارت دوزي) في كتابه عن الأدب الاندلسي في القرون الوسطى، له كتاب الاكتفاء بسيرة مصطفى، ومجموعة قصص يرى دوزي أنها أصل مسرحية السيد القمبياطور El-Ciddercampéa التي الفها أولاً غيلان دي كاستور الاسباني، وأعادها عنه اقتباسًا «كورناي» الفرنسي شيخ المسرحين في العصر الكلاسيكي أعني القرن السابع عشر.

6) أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي التوزري، صاحب المنفرجة التي مطلعها:

اشـتـدي ازمـتـي تـنـفـرجـي
قـد آذن لـيـلـك بـالـبـلـج

أخذ عن علي اللخمي الصفاقسي ومحمد المازري والشقراطسي وعبد الجليل الربعي، ولا تزال بتوزر الخلوة التي كان يجلس فيها وتجتمع فيه حلقته حوله.

انظر عن المنفرجة = كشف الظنون للحاج خليفة، وعن ابن النحوي الزركلي وكحاله وأحمد بابا وما بها من مصادر.

7) عبد الرحمان التوزري، عرف بابن الصائغ، كان أماما فقيها عالما بأصول الدين ولي قضاء الجماعة بتونس سنة 646.

ترجم له مخلوف في شجرة النور... ص 189 رقم 631، الزركشي في تاريخ الدولتين ط. تونس.

8) أبو محمد عبد الله بن يعقوب عالم توزر في الفنون الإسلامية ولد في القرن السابع بتوزر وتوفي بها في جمادى الثانية 702.

انظر عنه التجاني - الرحلة ص 164.

9) أبو عبد الله محمد بن زنون التوزري قال التجاني (ص 157) وأشعاره أشهر من أن تذكر، ولم يصلنا منها شيء من سوء الحظ.

هذا قليل من كثير عن أدباء توزر، وقد ترجم لهم الشيخ خريف في تاريخه عن الجريد، والكتاب يوجد عند ابنائه الافاضل الذين منهم شاعر توزر المعاصر مصطفى خريف حفظه الله.

انظر عن توزر الإسلامية = البكري، الإدريسي - ابن حوقل - ياقوت - التجاني، ابن خلدون.

س 11.30 – زيارة روضة الشّابّي والكعبي حيث كان يتفرغ للمناجاة.

س 13 – غداء

س 15 – زيارة بلد الحضر (قبر عبد الله الشقراطسي ومحمد بن الشباط وخلوة ابن النحوي التوزري، والواحة).

س 18 إلى 19 – أمسية شعرية

س 19.15 – الخروج على القطار إلى قفصة

قفصة

20.30 – زيارة السيد الوالي والعشاء

21.30 – حفلة ساهرة (فرقة صفاقس، وبعض الالعاب الفولكلورية المحلية) المبيت بقفصة.

الجمعة 4/ 3/ 65

س – 8 زيارة المدينة والواحة

– أولاً: العصر الحجري –

مدينة قفصة – مدينة تقع على بعد 300 كلم في الجنوب الغربي من تونس العاصمة. كانت تسمى كبسة من لفظ بربري. وكانت أول مركز لحضارة العصر الحجري والإنسان الأول بالديار التونسية وحتى الإفريقية بها العصور الثلاثة الحجرية

1) العصر الحجري القديم أو الباليوليتيك تجد آثاره من أدوات الصوان والمخابي تحت الصخور والجماجم والهياكل العظمية 2) العصر الحجري المتوسط أو الميزوليفي تجد أثاره بوادي بياش والقطار من الحجارة الملساء ورؤوس السهام وبيض النعام الملون المزخرف. 3) العصر الحجري الحديث أو النيولوتيك وتجد آثاره في الخزف وأنسجة النباتات من جذور وحلفاء وألياف على اختلافها وفي أسنان المناجل الصوانية وأسنان الجاروشة (النورج) التي كان يدرس بها الحبوب. مما يدل على أن الإنسان دجن أروى جبل «عربات» فاتخذ منه الضان ودجن بتوس «عربات» الوحشية فاتخذ منها العنز. وقد عرف أصول الفلاحة الأولى وأقدمها من الأشجار التين والزيتون ومن النبات، النبات النجيلي المسمّى بالحلفاء الذي كان منه نسج الغطاء والوعاء والأدوات المنزلية وكان من حبوبه اختباز الزعفران ولا تزال الحلفاء تقوم بالمغرب واسبانيا بدور أساسي في صنع المفروشات والسلال والزنابل والأحذية والسليلوز من المقام الأول.

ثانياً: العصر البربري - ثم جاء البربر من اليمن آلاف الأعوام قبل الميلاد وسكنوا جبال عربات ولا يزالون بها بتكلمون لغتهم وينقشون أحجار الارحية إلى جانب حضارة ثانية مماشية للعصر.

ثالثاً: العصر الفنيقي 1200 ق م - 146 ق م: وصارت قفصة في العهد البونيقي مركزا من أهم مراكز النسج والنقش

ومركز اهتمام القوافل الصحراوية. والأنسجة الصوفية القفصية من غطاء ولباس وزربية ذات الزخرف الملون الجميل مما اشتهر في كامل الأصقاع المغربية او حتى غيرها.

رابعاً: العصر الروماني - 146 ق م - 438 م. - عند الاحتلال الروماني ثارت المدينة على ماريوس فهدمها قاعا صفصفا. ولم تكن على عهد أوغوسطوس قيصر قد أعيد بناؤها ثم صارت مدينة ذات بلدية أهلية سنة 105 م. وبلدية رومانية على عهد طرايانوس. ثم بلدية استعمارية بعد ذلك.

وكانت مقسّمة بين الكاتوليكيين والدوناتوسيين. وقد ورد ذكر أساقفتها الكثوليكيين في سنوات 256 - 348 - 393 - 411 - 481 - كما ورد ذكر أسقف دونا توسي سنة 411 انظر: Menage – l'Afrique chrétienne.

قال «تيسو» عن قفصة الرومانية = «أن قفصة واقعة على نجد قليل الارتفاع ينتهي بجبل ابن يونس. ويحده من الشرق والجنوب مجرى وادي بياش ويكون سرير هذا الوادي جافا في أغلب السنة فيشبه بذلك الأنهار الصحراوية التي تنساب في المواسم المطرة. ثم إذا انقطعت الأمطار أعطت على كل حال بعض الماء إذا حفر في رمالها إلى مستوى النبع الباطني.

وتمتد الواحة في الجنوب الغربي من قفصة وتخصبها عينان ثريتان تنبجسان داخل سور القصبة.

وهناك عيون أخرى تسمى الفوارة تنبع من سرير وادي بياش نفسه تحت أسوار المدينة. وتحتل قفصة المعاصرة موقع المدينة الرومانية. ويتعرف الناظر آثار ومخططات الأسوار الرومانية في بعض النقاط لا سيما من الناحية الغربية في جهة الجامع الكبير الذي يعتمد جداره الخارجي على أساس قديمة مؤلفة من الصناديق الحجرية المنحوتة.

كانت الأسوار في القرن الحادي عشر الميلادي، أي على عهد الصنهاجيين لا تزال ظاهرة وصفها أبو عبيد البكري فقال: «كأنها فن بالأمس من بنائها» ولم تهدم قفصة إلاّ في فتن القرون الوسطى أي حينما ثارت على أبي عمرو عثمان الخليفة الحفصي. ذكر ذلك محمد الوزان الرحالة المسمّى ليون الإفريقي الذي زار تونس ومات بها في أواخر أيام الحفصيين. وذكر محمد الوزان أن قفصة لا تزال في أيامه محتفظة بتبليطها القديم المتخذ من الرخام الأسود مثل تبليط فلورنسه أو نابلي بايطاليا.

وكانت بقفصة الرومانية ثم العربية أساطين وبراطيل وأقواس نصر من الرخام الأبيض تحدث عنها أبو عبيد لكن لم يبق منها شيء الآن.

ولم يبق من آثارها القديمة إلا ما يأتي:

أولاً: قوس نصر صغيرة الأبعاد.

ثانياً: حمامات الطرميل. قال الشريف الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق: ...وبها في وسطها العين المسماة بالطرميل. (دوزي ص 104).

والطرميل تحريف لفظة يونانية Thermes معناها العين الفوارة الحارة المسماة بالعربية حمة مثل توزر أو حمة قابس ومنها قرطاجنة نفسها حاره ودرمش من نفس اللفظ Thermes وهي حمامات الأنطونينيين.

والطرميل قسمان. أولهما عين القصبة التي تنبع في قرارة حوض روماني عتيق يؤدي إليه مدرج ذو 20 درجة. حرارة مياهه 32 درجة تتصل بسرداب ينتهي إلى حوض ثان ينفتح خارج القصبة في واجهة الأسوار الجنوبية الشرقية.

وثانيهما هو عين دار الباي. ودار الباي هي مسكن باي المحال أو ولي العهد المرادي (1613 - 1705) أو الحسيني (1705 - 1881) الذي كان يخرج بالمحلة (الجيش) في الشتاء لاجتباء أموال التمور عند الميسرة.

وعين دار الباي تزود عدة أحواض منفصلة عن بعضها، قديمة البناء من بناء الأُوّل أعني الرومان. ثم تنصب بعد ذلك في حوضين كبيرين مستطيلين يسمى الأول طرميل الرجال والثاني طرميل النساء.

أما الأول فقد بني من صناديق الحجارة ومقيسه 25 م على 20 م. وله عمق كاف حتى يستطيع الناس القفز إليه من علو سطح دار الباي أو من رأس نخلة هناك.

وهناك ساباط لطيف المنظر مشمس الفتحات يصل بين طرميل الرجال وطرميل النساء.

انظر عن قفصة الرومانية = Salluste – Guerre de Jugurt:a

يتحدث طويلاً عن حروب ماريوس ضد القفصيين Ptolémée – IV – III – 39

Pline – V – IV - - 30

Guerin voyage archéologique I – 272

Tour du monde 1885 II – 415, 1886 II – 193 – 195 – 197

Cagnat – Explorations III – 66.

Tissot – Geo.. comp. II – 664.

خامساً: العصور الإسلامية:

فتحت قفصة على عهد العبادلة سنة 27 هـ. فهي أول البلدان الإفريقية دخولا في الإسلام وكانت بنت القيروان على عهد الأغالبة لما اشتملت عليه من العلماء. ثم استقلت بحكومة مركزية للدفاع الذاتي يوم استولى النرمان على السواحل والهلاليون على البوادي على عهد صنهاجة في القرن الخامس الهجري. فسادت بها دولة بني الرند. (انظر = ابن خلدون).

ثم صارت مركزا من أكبر مراكز الموحدين ربما كانوا يقيمون ويمارسون الحكم

قبل مباشرة الخلافة فقد حل بها عبد العزيز الحفصي وعثمان وغيرهما وضربوا بها السكة.

وأقلقتها ثورات الميورقي وقراقش حسبما تحدث عنه التجاني في رحلته.

واستولى عليها الاسبان ففتحها خليل الغازي من ضباط درغوث بها وأقيمت بها حامية تركية بقصبتها وأسس المراديون بها مدرسة لنشر العلم. وهي الآن مدينة قديمة وعصرية وواحة جميلة رائعة. ومن أهم آثارها الإسلامية القصبة الموحدية التي بناها الخليفة الحفصي أبو عبيد الله محمد (1434 - 1435) ورممها المراديون سنة 1663 وبنوا بها جامعا سنة 1664 وأقام الحاج مصطفى داي قبة فوق ضريح العالم الكبير أبي يعقوب يوسف القفصي المتوفي سنة 944 م.

أنظر عن قفصة الإسلامية: البكري - الادريسي - ابن حوقل - اليعقوبي - محمد الوزان، ياقوت الحموي.

سادساً: علماء قفصة وأدباؤها:

1) الحارث بن أسد القفصي. قال ابن فرحون في الديباج المذهب ص. 106 «أخذ من مالك بن انس روى عنه البهلول بن راشد وغيره وهو من الطبقة الوسطى من أهل مالك.

- ترجمة عياض في المدارك.

2) محمد بن تميم العنبري القفصي القصطلي. ترجم له عياض في المدارك.

3) مالك بن عيسى بن نصر القفصي. ترجم له عياض في المدارك.

4) يوسف بن عبد القفصي التميمي. ترجم له عياض في المدارك.

5) أبو سحاق إبراهيم بن منصور القفصي. ترجم له عياض في المدارك في مكانين وأكبر علماء قفصة ثلاثة:

6) ابن منظور القفصي صاحب لسان العرب (الأعلام للزركلي، ومعجم المؤلفين لكحاله + مصادر).

7) أحمد التيفاشي (نفس المصدر).

8) محمد بن راشد القفصي. هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكري القفصي كان فقيها فاضلا محصلا وإماما متفننا في العلوم على اختلافها.

ولد بقفصة في منتصف القرن السابع. وأخذ العلم أولا: بقفصة - فاشتغل وحصل

ثانياً: بتونس. فأقام بها زمانا ملازما للاشتغال بالعلم. ثالثاً بالمشرق: ثم ارتحل إلى المشرق. فتفقه بالإسكندرية بالقاضي نصر الدين الابياري تلميذ أبي عمرو ابن الحاجب. وتفقه أيضاً بضياء الدين بن العلاف. وأخذ عن محي الدين الشهير بحاجي

رأسه. وكان مجيدا في العربية وعلم الأدب. ثم رحل إلى القاهرة فلقي بها الإمام العلامة شهاب الدين القرافي. فتفقه عليه ولازمه وانتفع به وأجازه بالإمامة في أصول الفقه وفي الفقه.

وكان - علاوة عن ذلك - عالما بالعربية وعلم تعبير الرؤيا وغير ذلك.

وكان يحضر عند الشيخ الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد في إقرائه مختصر ابن الحاجب الفقهي.

واخذ عن شمس الدين الاصبهاني وغيره. وحج في سنة 680 هـ.

ثم رجع إلى المغرب بعلم جم. وولي قضاء قفصة. ثم عزل عنه.

تصانيفه = 1) الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب 2) الذهب في ضبط قواعد المذهب. قال ابن مرزوق = «ليس للمالكية مثله» 3) النظام البديع في اختصار التفريع 4) تحفة اللبيب في اختصار كتاب ابن الخطيب. 5) نخبة الواصل في شرح الحامل في أصول الفقه. 6) المرتبة السنية في علم العربية. 7) المرتبة العليا في تعبير الرؤيا.

توفي منتصف القرن الثامن ودفن بالزلاج.

انظر عنه = الديباج المذهب لابن فرحون ص 335، تاريخ الدولتين للزركشي حيث تضبط ولادته ووفاته وترجمته، الأعلام للزركلي + مصادر معجم المؤلفين لكحالة + مصادر.

ومما تقدم وهو مختصر يبيّن أن قفصة كانت ولا تزال مركزا من أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية.

س – 9 – الارتحال إلى صفاقس بالحافلة.

صفاقس

س – 11 – الوصول إلى صفاقس. زيارة السيد الوالي واستراحة.

11،30 زيارة المدينة والغابة.

13،30 مأدبة غداء.

15،30 – الخروج من صفاقس نحو قصر الجم الروماني.

صفاقس – هي عاصمة الجنوب التونسي والمدينة الثانية بالجمهورية. والمرسى المخصص في الزيوت والتمور وفوسفاط قفصة والمتلوى ومظيلة والأسماك المصبرة والطرية.

العصور القديمة – بلدة رومانية قديمة تسمى تبرورة، اللفظ بربري. والمسمى روماني مما يدل على أن المدينة الأصلية من بناء البربر اللوبيين الأولين من قبيلة هوارة. ثم أن الفينقيين أسسوا صفاقس البونيقية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وحنبعل هو أول من أنشأ غابة زياتينها. وأدخل البونيقيون بها الصناعات التقليدية التي لا تزال مشتهرة بها.

وفي سنة 146 ق م استولى عليها الرومان ولا يزال من آثارها الرومانية = انقاض الأسوار والأرصفة، بجهة البحر كنيستان مع حوضين للتعميد وفي المتحف البلدي بصفاقس آثار هذه الحضارة الرومانية وبها نماذج طيبة من الحضارة الفنيقية.

أما المركز الروماني الكبير بالناحية فهو =

طينة Thaenae الواقعة في منتهى مملكة يوبا الثاني الملك البربري وعلى حدود مملكة الإمبراطور البربري سيفاكس ومن هنا وجه التسمية.

ثارت مدينة طينة سنة 46 وانضوت تحت لواء يوليوس قيصر فاستولى عليها. كانت بلدية أهلية ثم صارت بلدية استعمارية على عهد الإمبراطور هاد ريانوس.

وصارت مركزا من أكبر المراكز في العهد النصراني. وورد بها ذكر أساقفة كاتوليكيين في سنوات 256 - 484 - 525 - 641. وأسقف دناتوسي سنة 411.

Menage – L'Afrique Chrétienne

M. Monceau: la littérature latine chretienne d'Afrique.

بها آثار ممتدة أجرى بها حفريات الأستاذ الفندري فأماط عن كنوزها.

منها = ملعب مستدير (سيرك)، حمامات وهي من أهم آثارها - صهريج ذو ثماني طبقات، عدة صهاريج، حنايا، مدافن بشكل صوامع، أحدها مثمن الشكل، عدة مقابر، كنيسة

ملوكية، سور كبير. وفي شمال طينة يقع الحفير الكبير الذي يقسم أفريقية في أوائل الاحتلال الروماني إلى قسم بيد الرومان. وقسم بيد ملوك البربر.

أنظر عن طينة Tissot – géo II – 190.

العصر الإسلامي

سقيا الأرض صفاقس ذات المصانع والمصلى
فحمي القصيد إلى الخليج فقصرها السامي المعلى
بلد يكاد يقول حيـ ـن تزوره = «أهلا وسهلا»
وكانه – والبحر يحـ ـسر تارة، عنه ويملا
صب يريد زيارة فإذا رآى الرقباء ولى

علي بن حبيب التنوخي الصفاقسي

صفاقس – بلدة إسلامية المعمار لطيفة الديار قائمة الأسوار، كثيرة الأزهار لطيفة الأعطار.

مدينة عربية أصيلة ترجع إلى القرن الثالث الهجري يحيط بها سورها في شكل مستطيل منحرف. معظمه من بناء الأغالبة في القرن الثالث. وبعضه من بناء الفاطميين. وقد أحيت حكومة

الاستقلال هذا السور الرائع الذي عمر عشرة قرون وأزالت ما حوله من المباني القبيحة المنظر وإحاطته برياض غناء وحدائق فيحاء قصيرة المنبت حتى تتجلى سمرة السور الفاتنة عن خضرتها النضرة.

والمدينة العربية لطيفة المباني جميلة الأبواب رائعة النوافذ والشرفات يخترقها شارع كبير به الأسواق الأغلبية التي تتلاعب فيها ظلمات سقوفها وأنوار مضاويها وقد فرشت دكاكينها بالطنافس والمنافذ واختلطت جموعها بين ماض وحاضر، الكدرون البدوي والجبة الصفاقسية والبدلة الإفرنجية حضارات متوازية غير متنافرة. وبدت العمامة الصفاقسية اللطيفة الممتازة بلياتها وطياتها وتطريزها واما لتها.

والجامع راجع إلى القرن الثالث جميل الصومعة بديع الأروقة حوله - مصاطب يجلس عليها الناس لتحرير العقود وانجاز الصفقات.

وبين السور والبحر المدينة العصرية التي هي جديدة نظيفة جميلة مستوية الشوارع لطيفة المعمار ضحوكة السن بسامة المحيا.

وصفاقس هي مدينة تجارية وصناعية وفلاحية ناشطة. حولها غابة زياتين ولوز وفسدق وحدائق أزهار فريدة من نوعها يسرت أعمال المعاصر ومصانع تقطير العطور من ورد وعطرشاء وياسمين وصناعة المشروبات الحلال من شراب الورد والتفاح والبنفسج واللوز.

وفي بحرها مصايد الأسماك. وتسمى الشرفيات. وهي صفوف من الجريد تثبت في الماء صفا وراء صف يغمرها ماء البحر عند المد. فإذا جزر البحر انحصر عن الأسماك التي لا تستطيع تخطى خطوط الجريد فتبقى هناك مختلطة وثابتة بديعة الألوان لذيذة الطعم سائغة الأكل للأطعمة؛ والألوان السمكية التي امتاز بها الصفاقسيون من «المريقة» وهي حساء من السمك يفرك فيه الخبز فيكون ألذّ ما يؤكل.

وإلى جانب الصناعات التقليدية الموجودة بالأسواق على أروع هندام تعتبر صفاقس المدينة الصناعية العصرية الكبرى بها معامل تكرير الزيتون وتصفية الفسفاط وتصبير الأسماك والثمار وصناعة الزليج العصري والاسمنت والأحذية والمناجم.

والصفاقسيون يسكنون المدينة بالنهار ثم إذا جاء المساء تحولوا إلى منازلهم الأنيقة بالغابة وسط البساتين الفيحاء والحدائق الغناء. وفي المصيف يتحوّلون إلى شاطئ سيدي منصور الذي به رباطات أغلبية. وهناك به الألعاب والمباهج الفولكلورية التي هي عديمة المثال.

فتحت صفاقس سنة 41 هجرية. وكانت بلدة صيادين في الأول. وأنشأ بها الأغالبة غابة زيتون عديمة النظير. وبنوا جامعها الكبير وأسواقها وسورها ومواجل (صهاريج الناصرية) انظر =

Golvins: la grande mosquée de Sfax

Golvins: l'artisanat Sfaxien (Aspects de l'artisanat de l'Afrique du Nord).

- دائرة المعارف الإسلامية = صفاقس. المقدسي = سفاقس ع. ك.

تاريخ سفاقس = مجلة مكارم الأخلاق السفاقسية. محمود مقديش = نزهة الأنظار وهو أكبر كتاب عن سفاقس. مناقب أبي إسحاق الجبنياني ط. الهادي إدريس. وترجمته وتعاليقه.

ثم جاء الفاطميون فصارت صفاقس جرة وصل بين الإسكندرية وتونس من طريق البحر. تأتي منها البضائع والكتب والأغاني البحرية. وتنقل منها إلى مصر المنسوجات الصوفية والقطنية والحريرية. ومن قديم الزمان قد انقسمت عائلات صفاقس إلى فروع بصفاقس وطرابلس والإسكندرية من الدوحة الواحدة.

وفي العصر الصنهاجي استقلت صفاقس بيد بني برغواطة والفريانيين للدفاع عن نفسها من هجمات حروب النرمان لضعف الحكومة الصنهاجية يومئذ.

وكانت حروب كثيرة بين الصنهاجيين والبرغواطيين.

(انظر = رحلة التجاني - وابن خلدون) وفي العصر الموحدي كانت صفاقس العاصمة الاقتصادية. واستمرت على ذلك إلى أيام المراديين ثم الحسينيين ثم الحماية. وقد كانت في إبان الثورة من أهم المراكز. ومن شهدائها المرحوم الهادي شاكر والزعيم النقابي الشهيد فرحات حشاد. ومنها انبعثت الحركة النقابية سنة 1944 بعد ركودها.

ومؤتمر صفاقس هو الذي تمت به أسس سياسة الاستقلال.

انظر عن صفاقس = دائرة المعارف الإسلامية = صفاقس = ياقوت = صفاقس. وخصوصاً مقديش = نزهة الانظار.

أدباء صفاقس:

1) علي بن حبيب التنوخي. ذكره ابن رشيق في الانموج قال: موطنه صفاقس. وبها نشأ. وهو شاعر عذب اللفظ لطيف المعنى سهل الطريقة قليل التكلف. رحل إلى المشرق ولقى جماعة من رجال القرن الخامس الذين عاصرو ا ابن رشيق من شعره =

للمرء في أيامه واعظ
لو فكر المغرور في أمسه
كم من قرير العين في غبطة
أعراه صرف الدّهر عن لبسه
ففارق الأحباب عن كرهه
واستبدل الوحشة من أنسه
يا رب غفرانك يرجو الذي
أسرف في الدنيا على نفسه

أنظر عنه التجاني 76.

2) مضر بن تميم الفزاري

ذكره ابن رشيق في الأنموذج. قال = موطنه صفاقس. وهو شاعر حسن الطريقة في الشعر. أنشد له =

يا من عذيري من شوقي وتسهيدي
ومـن معيني على نوحي وتعديدي
تـطـاول الليل وامـتـدت غـواربـه
فالصبح ورد لعيني غـير مـورود
لا أطعم الغمض إلا أن يطيف به
طيف، ويـذهـب مفقود بمفقود
وما استقرت على بحر الهوى سفن
شطت بهم عن كئيب القلب معمود
اسـتـودع الله مـن ولى واودعـني
شـوقـا إلـيـه جـديـدا غـير مجـدود
(التجاني ص 77)

3) عثمان بن أبي بكر بن حمود الصدفي.

الإمام المحدث المعروف بابن الضابط له رحلة إلى المشرق. وأخذ فيها عن جماعة يطول تعدادهم منهم الحافظ ابن نعيم. وأخذ عنه بأصبهان وكتب عنه كثيرا. ثم انتقل من المشرق إلى الأندلس سنة 436 هـ. فأقرأ بها وأخذ عنه علماؤها. واثنوا عليه. وعاد منها إلى القيروان فوجهه صاحبها الصنهاجي رسولا إلى القسطنطينية فمات في طريقه أما وارادا وأما صادرا. وذلك بعد سنة 444 هـ.

ذكره أبو عمر بن الحذاء في تسمية رجاله الذين التقى بهم فقال = «قدم علينا طليطلة وسنه نحو الخمسين. وكانت له رواية واسعة، ومعه كتب كثيرة قد رواها بالعراق والشام والحجاز ومصر. وتجول عندنا بالأندلس. نحو عامين ثم انصرف إلى

القيروان. وكان لي صديقا وتكررت كتبه من القيروان إلى أن أرسله الصنهاجي ملك إفريقية إلى القسطنطينية فبلغتنا وفاته.

وذكره الحميدي أيضاً في جذوة المقتبس فقال = كان حافظا عاقلا قرات عليه كثيرًا.

وذكره أبو القاسم بن بشكوال في الصلة (رقم 131) وأثنى عليه كثيرا وأخبر عنه أنه قال = بعث إليّ شعراء القيروان حين مقامي بها، منهم ابن رشيق وابن شرف وابن حجاج والعطار يسألونني أن أرسل إليهم بشعري. فقلت للرسول أنه في مسوداته. فقال أحمله كما هو. وكتبت عليه ارتجالا ثم بعثت به =

خطبت، بناتي فأرسلتهن
إليك عواطل من كل زينه
لتعلم أني ممن يجدد
بمحض الوداد وليس ضنينه

قال = فأجابوني عن بطء بهذه الأبيات =

أتتنا بناتك يرفلن في
ثياب من الوشي يفتن زينه
فلما سفرن فضحن الشموس
وسرب الظباء واخجلن عينه
ولما نطقن سحرن العقول
وظل القرين ينادي قرينه
أفي بابل نحن؟ أم في العراق
وفوق البسيطة أم في سفينه

فـدعـني أراقـــب ضـــوء الجميـع

نسمع مـــن كـــل مـــدح عيونـــه

4) أحمد بن علي بن سالم والد الولي أبي اسحاق إبراهيم الجبنياني. كان صاحب خراج إفريقية. وكان من أهل الأدب والفهم. ثم ارتقت حاله مع بني الأغلب إلى أن صار مشاورًا ووزيرًا. وكان إذا مشى مشى في عسكره وبين يديه وخلفه الجنائب

كما كان الوزراء يمشون إذ ذاك وكانت له بصفاقس ما ينيف عن الأربعين دارا (تجاني 80).

5) جبلة بن حمود بن عبد الرحمان بن جبلة الصوفي أبو يوسف. ولد سنة 216 وسمع من سحنون وعون وإبراهيم البرقي وداود بن يحي وغيرهم من المصريين والافريقيين. وله ثلاثة أجزاء مجالس عن سحنون وروى عن سحنون المدونة وروايتها عنه مشهورة.

وقرأ عليه أبو العرب المؤرخ وهبة الله بن عبد الله بن سعد.

توفي في صفر سنة 299 هـ.

ترجم له عياض في المدارك. وابن فرحون في الديباج ص 103.

وقبره أمام سور صفاقس على طريق قابس.

6) أبو الحسن علي بن محمد الربعي اللخمي الصفاقسي.

ولد في أول المائة الخامسة. وتفقه بابن محرز وأبي الفضل ابن بنت خلدون وأبي الطيب وإبراهيم التونسي السيوري وبرز في أيامه وطارت فتاويه. كان فقيها فاضلا متفننا ذا حظ من الأدب وبقي بعد أصحابه فجاز رئاسة إفريقية. وتفقه به جماعة من الصفاقسيين وغيرهم. أخذ عنه الإمام المازري وأبو الفضل بن النحوي التوزري وأبو علي الكلاعي وعبد الحميد الصفاقسي.

له تعليق كبير على المدونة سماه التبصرة. توفي سنة 498 بصفاقس. وقبره مشهور إلى الآن.

انظر عنه = الديباج لابن فرحون ص 203. والمدارك لعياض.

7) عبد الله بن أبي الطاهر إسماعيل ابن أبي إسحاق الجبنياني المشهور. كان أديباً شاعرًا ظريفًا. ذكره ابن رشيق في الأنموذج وأخبر أن صفاقس موطنة وان بها منشأه.

قال = «وكانت له نباهة وظرافة في جميع أحواله مع نزاهة نفس وبعد همة.»

قال = «واجتمعت به في صفاقس، فكنت أقطع الغربة بقربه. ومن شعره =

سـا ضرب في بـلاد الـنـاس بـرا
وبـحـرا بـاسـفـائـن والـركـاب
إلى أن تـنـكـر الاحـبـاب مني
ثـوائـي بـالمـغـارب واغـترابي

لا كسب ثروة وأفيد مالا
وأبلى عذر نفسي في الطلاب
فإن نلت المراد فذاك حسبي
وأن أحرم فإني ذو احتساب
وما فارقت إخواني وأهلي
ومن أحببت إلا عن غلابي
(تجاني 81)

8) عبد الله بن عبد الرحمان بن علي الفرياني. من رجال القرن الرابع. مولده بمالقة بالأندلس وأبوه هو المتنقل إليها من صفاقس. له رحلة أبعد النجعة فيها شرقا وغربا. كان من الشعراء الهجائيين.

أنظر عنه = التجاني 83، تحفة القادم لابن الآبار.

9) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القبسي الصفاقسي العلامة المصنف المتفنن. ولد 697 وتوفي 743.

10) أخوه شمس الدين محمد. كان قاضيا عالما متفننا.من تآلفهما = إعراب القرآن الكريم. وهو من أجل كتب الأعاريب وأكثرها فائدة. جرده من البحر المحيط للإمام العالم العلامة آية الدين بن حيان ومن أعراب أبي البقاء وغيرهما وتوفي الشمس سنة 744 هـ

أنظر = الديباج المذهب 92 – الشيخ مخلوف 209.

11) عبد الواحد بن التين.

أبو محمد عبد الواحد بن التين الصّفاقسي. الشيخ الإمام العلامة الهمام المحدث الراوية المفسر المتفنن المتبحر.

ولد بصفاقس في منتصف القرن السادس وأدرك الصنهاجيين ثم الموحدين فهو مخضرم بهذا الاعتبار.

له شرح على البخاري مشهور سماه «المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح اعتمده الحافظ ابن حجر في شرحه للبخاري توفي بصفاقس سنة 811 هـ. وقبره بها معروف.

انظر = مخلوف = شجرة النور الزكية رقم 528 ص. 168.

12) علي النوري – أبو الحسن علي النوري الصفاقسي. قرأ بصفاقس ثم بتونس ثم بالمشرق على جماعة ذكرهم في فهرست. ولد سنة 1053 هـ. وتوفي بصفاقس في 1118 هـ له من التصانيف = غيث النفع في القراءات السبع = المنقذ من الوحلة في معرفة السنين والقبلة، ومنسك عقيدة في التوحيد شرحها تلميذه الموخر، مقدمة اشتملت على فوائد فقهية رسالة في تحريم الدخان أول دخوله إلى تونس حينما جلبه إليها مهاجرة الأندلس بعد اكتشافه بأميركا.

أنظر = شجرة النور لمخلوف رقم 1255.

13) علي الموخر الصفاقسي. أخذ عن الشيخ النوري، وعبد العزيز الفراتي له شرح على عقيدة النوري، شرح إلى الجوهرة، شرح على الفية السيوطي.

– مخلوف 1362.

14) علي اللومي – أبو الحسن علي اللومي الصفاقسي الإمام العالم المتفنن. أخذ عن عبد الله السوسي ورحل إلى مصر فقرأ بالأزهر وغيره. أخذ عنه بصفاقس محمد مقديش الأديب المؤرخ والطيب الشرفي ومحمود الزواوي ومحمد المصمودي وعلي الذويب وإبراهيم الخراط. توفي 1204.

مخلوف رقم 1451.

15) علي الغراب – هو أبو الحسن علي الغراب الصفاقسي من أكبر شعراء صفاقس بل تونس. وهو شاعر الباشا علي بن حسين وشعره معظمه في التاريخ الباشي لحمودة بن عبد العزيز وديوانه موجود على حده وعائلته مشهورة إلى الآن تايهة. وقد أولع بالثورية ومن ذلك قوله =

إذا شاب الغراب انيت أهلي

فقولوا لهم لقد شاب الغراب

أخذ عن علي اللومي ومحمد سعادة وغيرهما. توفي سنة 1183.

أنظر = التاريخ الباشي، شجرة النور لمخلوف 1382.

16) عبد العزيز الفراتي – هو أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفراتي الصفاقسي من بيت علم قديم هو عاشرهم. قرأ بصفاقس ثم بتونس ثم بمصر. وجاور بالحرم الشريف وقرأ الحديث هناك. ورجع إلى صفاقس فتصدى للتدريس وتخرج عليه جماعة. له = عقيدة في التوحيد، شرح مقدمة الشيخ السنوسي، كتاب في النقد

الأدبي، مقدمة في الفقه، تأليف في النحو، نظم في المناسك ديوان شعر، ديوان خطب. اختصار السيرة الحلبنه.

مخلوف رقم 1265.

17) محمود مقديش - محمود مقديش الصفاقسي الأديب المؤرخ العلامة. قرأ بصفاقس وتونس ومصر.

له تأليف = حاشية علي ابن السعود، شرح على المرشد المعين، شرح على القلصادي في الحساب، شرح على الوسطى للسنوسي في التوحيد.

وخصوصاً تاريخ في مجلدين معظمه في خطط صفاقس وتاريخها وتراجم رجالها ط. حجرية تونس. توفي سنة 1228 هـ.

مخلوف رقم 1462.

18) علي الذويب الصفاقسي. قرأ على اللومي وغيره. وتخرج في الطب والأدب والعربية والفقه والمنطق والكلام. ثم انتقل إلى مصر فقرأ بها. مات سنة 1199 هـ.

له ديوان شعر، ودراسات عن فن الأغاني. محمد النيفر = عنوان الأريب 2/ 39.

19) محمد بن عبد الكافي بوعتور الصفاقسي. نشأ في طلب المعارف. كان قرضيا أديبا شاعرا. توفي سنة 1195.

النيفر = عنوان الأريب 2/ 48

20) إبراهيم الخراط الصفاقسي. من كبار شعرائها. كان حيا سنة 1180. وله ديوان شعر. الشيخ محمد النيفر - عنوان الأريب 2/ 54

21) محمد سيالة الحكيم الصفاقسي. كان أديبا وولوعا بالعلوم الرياضية سافر إلى لندرة وكثير من البلاد الأوروبية. توفي سنة 1247 .وله ديوان شعر أكثره جيد.

النيفر = 2/ 76

22) إبراهيم بن أحمد الخراط الصفاقسي. كان شاعرا أديبا. وله ديوان. توفي 1251.

النيفر = 2/ 85

23) محمد بن الحاج محمد طريفة الصفاقسي. شاعرها الأكبر في آخر القرن الماضي توفي سنة 1314. وديوانه مشهور. عنوان الأريب 2/ 153.

24) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد السلام الشرعي الصفاقسي الأصل المصري المولد والقرار. له معرفة جيدة بعلم الميقات. وكان والده شيخا على رواق المغاربة بالأزهر. توفي سنة 1188.

مخلوف رقم 1350.

25) رمضان بوعصيدة الصفاقسي. الإمام الفقيه المحدث المفسر. توفي 1175.

مخلوف رقم 1371.

26) أحمد بن محمد بن حسن الشرفي الصفاقسي. كان عالما يضبط الخرائط البحرية التي اشتهرت بالبحر المتوسط ودرسها الألماني... وطبعها. توفي سنة 1195.

مخلوف رقم 1389.

27) حفيده بن حسن بن أحمد الشرفي. أخذ عن شقيقه حسن والطيب ورحل إلى تونس فأخذ عن علمائها.

له = تقريرات على شرحي الخدشي وعبد الباقي على المختصر الخليلي. وتقريرات على الرسالة.

مخلوف رقم 1391.

28.) حسن الشرفي قاضي صفاقس. أخذ عن فطاحل صفاقس وتونس. توفي 1199.

مخلوف رقم 1244.

29) إبراهيم بن أحمد الجمل الصفاقسي. حامل لواء المنظوم والمنشور به عدة تآليف في الدراسات القرآنية. توفي سنة 1107 هـ.

مخلوف رقم 1244.

وفي صفاقس اليوم حركة أدبية علمية مباركة شملت الشعراء والأدباء والروائيين والقصاصين والمسرحيين. وجمعت بين

الأدب الفصيح والأدب الشعبي وقد سجلت في العكاضيات السنوية المطبوعة.

30) محمّد الشرفي. ولد بصفاقس في منتصف القرن الحادي عشر. وتفقه بصفاقس على علي النوري والفراتي ثم دخل المشرق فأخذ عمن لقي من علماء الأزهر. وأخذ علوم الرياضة من حساب وفلك وغيرهما على أحمد الشرفي نزيل مصر. وأتقن أعمال الأرباع الجيبيّة والمقنطرة وانفرد في صفاقس بتلك الصناعة فأخذها كثير من الناس عنه. لذلك بنى له حسين بن علي مدرسة قرب المسجد الأعظم.

وكان شاعراً مجيداً. وغالب شعره في الجدّ توفي 14 ذو القعدة 1157.

ترجمه مقديش في نزهة الأنظار. ومحمد النيفر في عنوان الأريب ج 2 ص 18.

الساعة 15،30 الخروج من صفاقس نحو الجم.

الجمّ

س 16 – الوصول إلى الجم (قصر الجم أو الاجم أي الذي جذع انفه. وبالحقيقة إنه لم يكمل. بلد روماني يبعد 200كم في الجنوب من تونس وله كولوزيوم أي مسرح بيضوي يعتبر من أكبر المسارح الرومانية..

قصر الجم هو مدينة تيسدروس الرومانية T:ysdrus واللفظ بربري بلا خلاف. بنى هذا القصر ثلاثة قياصرة من التونسيين جلسوا على عرش رومة = غوردياتوس الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، وكان ذلك لمفاخرة رومة وإقصاء مركب النقص وبيان أن التونسيين قادرون على ما يقدر عليه الرومان وأكثر. كان غورد ياتوس من أبناء الجهة وتخرج في الحقوق من كلية قرطاجنة. وأكرمه أهل منطقته فبايعوه على عرش رومة. فمن باب الشكر والمفاخرة في بناء هذا القصر. تمثل بيضويته 552م محوره الأكبر 149م ومحوره الأصغر 124 م. وهو يتركب من أربعة طبقات تحتوي 60.000 متفرج. ولا تزال به الأروقة التي كانت تخبأ بها الحيوانات الضارية.

وكانت تقع به العاب ومصارعات بين فريقين من صنف واحد من الحيوانات. أو بين فريقين من صنفين مختلفين. أو بين بشر وحيوان. أو بين إنسان وإنسان من مصارعة ومسابقة. وكان على الخصوص مشهدا لاضطهاد شهداء النصرانية. وقد مثل ذلك مجموع من الفسيفساء التعبيرية عديم النظير.

(انظر = ع.ك. = تاريخ المسرح التونسي - مجلة المباحث.

وعن القصر نفسه =

P. Monceau – les Africains

Guerin – voyage

Année archéologique – I – 90 – 100

Shaw – Travel I – 220

Falbe – Recherches 79

Tissot – Revue Africaine t I/

Revue Tunisienne

Bulletin de l'Académie de Sousse

Tissot geo. Comp. II – 183

ومن آثار الجم. مسرح صغير على قياس البلد. كشف عنه أخيرا بعناية السيد الهادي سليم وهو يقع على بعد 1200 م. في جنوب البلدة ويمثل المسرح القديم الخاص بالبلد وعلى قياسه.

الملعب أو السيرك يقع في الشمال الشرقي من المدينة وطوله 550م وعرضه 95م فهو أكبر من ملعب سوسة وملاعب «عويتقه «المدينة البونيقية الأولى والواقعة في منتصف الطريق بين تونس وبنزرت عند مصب نهر مجردة أكبر الأنهار التونسية.

وقد عثر من ناحية أخرى على قلعة وأسوار ترجع إلى العهد البونيقي.

وثروة الجم التي تفسر إقامة مثل هذه المعالم آتية من خصب المنطقة يومئذ التي كانت تزود رومة بالقموح والزيوت والخمور وتصرفه إلى خمسة ثغور بحرية هي سولكتوم –سلقطة قرب المهدية – واشوله: العالية، وجمة المهدية، وطايسوس – راس الديماس. الخ...).

كانت الجم بلدية استعمارية أنشأها يوليوس قيصر وإلى جانبها مدينة أهلية حرة. ثم صارت بلدية في عهد الإمبراطور الإفريقي سبتيميوس سافاروس.

وأجريت حفريات في الجم بعد الاستقلال كشفت عن المدينة القديمة وأحدث متحف فظهرت الطرقات التي تتكون منها شبكة الجم المتحكمة في الوسط التونسي والمساكن الفخمة والفسيفساء الجليلة والصهاريج والآبار وخزانات المياه وخصوصاً الحمامات المعدنية الكبرى الواقعة في الناحية الغربية والتي يبدو أنها ترجع إلى ما بين 323 - 333.

وقد اعتصمت الكاهنة بقصر الجم لمحاربة العرب في قصة يطول شرحها.

وبالجم آثار إسلامية طيبة وجامع لطيف. وقد جددت مدينة الجم بأسلوب عصري بعد الاستقلال جعلها جميلة وتحفة في جميع العصور.

عن الجم عند المسلمين انظر = رحلة التجاني، البكري - الحلل السندسية للوزير السراج ج ا ط. تونس.

الساعة 16،30 الارتحال من الجم نحو المهدية.

الساعة 17 الوصول إلى المهدية.

المهدية

المهدية هي عاصمة الفاطميين الأولين والخلفاء الأربعة الذين تحدث عنهم المقريزي في انعاظ الحنفاء وابن حمادة في تاريخ بني عبيد بمزيد الاطناب.

وهي العاصمة الرابعة التونسية على التوالي فالاولى عويتقة (1200 ق.م/ 810 ق.م) والثانية قرطاجنة (810 ق.م 662 ب م) والثالثة القيروان (51 هـ 306 هـ) والرابعة هي المهدية وهي آخر عاصمة قبل تونس الحاضرة التي نقل إليها الموحدون تخت الدولة بعد انتهاء دولة الصنهاجيين فالمهدية بقيت عاصمة الخلافة الفاطمة من 306 إلى 371 هـ ثم عاصمة الدولة الصنهاجية من 371 إلى 555 هـ.

وهي تقع قرب رأس قبوذية الرأس المتقدم من إفريقية نحو المشرق فكأنها عنوان اعتزام الفاطميين على افتتاح الشرق الإسلامي.

والذي بنى المهدية هو أول الخلفاء الفاطميين عبيد الله المهدي لينتقل من عاصمة البر القيروان إلى عاصمة البحر المهدية.

قال المؤرخ الصنهاجي إبراهيم الرقيق = «خرج عبيد الله المهدي بنفسه في سنة 300 هـ. إلى مدينة تونس. فاجتاز على قرطاجنة وغيرها. ومر على جميع السواحل يرتاد موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة تحصنه وتحصّن بنيه من بعده. وقد كان عنده علم حد ثاني بقيام قائم على ذريته. فأقام يلتمس ذلك مدة فلم يجد موضعا أحسن ولا أحصن من موضع المهدية. فبناها هنالك وجعلها دار مملكته.

وكان ابتداء بنائه لها لخمس خلت من ذي القعدة سنة 303 هـ 912 م.

قال الرقيق = «وكان أول ما بنى منها سورها الغربي الذي فيه أبوابها. وعندما وضع أول حجر منه - وهو حاضر - أمر ناشبا كان بين يديه أن يوتر قوسه ويقف على ذلك الحجر ويرمي سهمه. ففعل الرامي ذلك. فانتهى السهم إلى المصلى. ووقع قائما على نصله فقال المهدي = «... إلى ذلك الموضع ينتهي صاحب الحمار - يعني أبا يزيد مخلد بن كيد أو الثائر النكاري - فقدر ان وصل أبو يزيد إلى ذلك الموضع ولم يتجاوزه.

قال محرز بن خلف في تاريخه = وأمر المهدي بقياس مسافة هذه الرمية فكانت 233 ذراعا فقال - هذا منتهى ما تقيم المهدية بأيدينا من السنين. ولما تم بناء السور هنأه أولياؤه بذلك فقال لهم = «إن جميع ما ترون إنما عمل لساعة واحدة. يعني ساعة وصول أبي يزيد إلى المهدية.

قال محرز بن خلف في تاريخه = وكان يقف على فرسه فيأمر الصناع بما يصنعون. وأمر بعمل باب الحديد للمدينة فجعل صفائح مصمتة ثم أثبتت فيها المسامير. فبقيت تتقلقل فقال للصناع = ما عندكم في هذا؟ فقالوا = ما ندري فأمرهم بتسميرها كذلك ثم أمر بإيقاد النار تحت الباب كله حتى التهب واتصلت المسامير بالصفائح. فعادت كلها قطعة واحدة.

ولما تم الباب على هذه الصفة أحب اختبار وزنه. فكلهم أخبروه أن لا سبيل إلى ذلك لإفراط ثقله. فأمرهم أن يضعوا أحد مصراعيه على ظهر سفينة ففعلوا ذلك. ونظر إلى منتهى غوص السفينة في الماء. ثم أنزل وشحنت السفينة بالرمل والحجارة إلى

أن وصل ما وصل منها أولا. واستخرج الرمل منها فوزن على كرات. فكان وزن كل مصرع مائة قنطار.

ولما علموا قدره وحاولوا تركيبه صعب عليهم فتحه وإغلاقه. فلم تكن المائة من الرجال تستطيع ذلك. فأمر المهدي أن يكون مداره على الزجاج. فهان أمره وعاد الرجل الواحد يتولى منه ما كانت المائة تعجز عنه.

فعجب من هذا كله من فطنة المهدي ونفوذ فكرته.

مرسى المدينة - وأمر المهدي بحفر مرسى المدينة. وكان حجرا صلدا. فنقر نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية. وأقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد يرجع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت تحصينا للمرسى عن دخول مراكب الروم.

دار الصناعة: وابتنى دار الصناعة وهي من عجائب الدنيا.

ولا يزال المرسى موجودا إلى الآن.

وقد صار الاسطول الفاطمي أكبر أسطول في عصره. وقد وصفه علي الأيادي بقصيدة غراء.

(أنظر المنتخبات التونسية لح.ح. عبد الوهاب وزهر الآداب للحصري) كما وصفه محمد بن هاني المهدوي في ديوانه. وكان مجهزا ببيت الإبرة والدفة والإسترلاب. وفي العصر الصنهاجي صار مجهزًا بالمدافع لأول مرة؛

(أنظر R.:. Idriss: La berberie orientale sous les Zirides)

تزويد المدينة = ثم شرع عبيد الله المهدي في حفر الأهراء بداخل المدينة وبنى الجباب والمصانع واختزن الطعام بالإهراء وملأ الجباب بالماء. ثمّ أمر بحفظها فلم تفتح إلاّ في أيام أبي يزيد.

الجامع الأعظم بالمهدية = وكان اتساع المهدية في أول أمرها من الجوف إلى القبلة قدر غلوة سهم. فاستصغرها المهدي عند ذلك فردم من البحر مقدارها وأدخله في المدينة فاتّسعت. وبنى الجامع ودار القضاء ودار المحاسبة في جملة ما ردم من البحر. ولا تزال أجزاء من الجامع على حالها وفق المعمار الفاطمي الذي غير المعمار الإفريقي الأغلبي الأصلي من ذلك باب الجامع البديع.

الأسوار والأبواب = وأسوار المهدية عجيبة تحول هذا الرأس الذي بنيت عليه المدينة إلى «بارجة عائمة «وهي مؤثرة مدهشة وقد هدم معظمها الإسبان في القرن السادس عشر وهدم البقية الفرنسيون. لكن بقي باب زويلة أو باب الفتوح وبرجه الذي طوله 44 م ويسمى السقيفة الكحلاء. وهو شبه باب زويلة القاهرة. وقد صار مثالا يحتذى بأوروبا والمشرق في جميع القلاع والأبواب.

والمهدية في الحقيقة ثلاث مدن =

أولاً = المهدية بمعناها الخاص. وهي هذا الراس الذي يمتد من باب زويلة إلى باب الديوان أو باب البحر ويخترقه في استواء السّماط الأعظم أكبر وأبهج شوارع المهدية في تلك العصور. وفي ثلثه الأول الجامع ودار المحاسبة ودار القضاء وفي وسطه قصر عبيد الله وقصر ابنه يتوسطهما الميدان. وفي ثلثة الثاني المرسى وقد بقيت مراسم كل ذلك. والمهدية هي المدينة الخسروانية والإدارية والعسكرية والتجارية.

ثانياً = زويلة = وهي الجانب البري الذي يقابل الرأس الداخل في البحر. وهي كبيرة متسعة كانت بها منازل السكان وبساتينهم وحدائقهم ومعامل الزيت والزّجاج والياجور ومناقش الحجر وغير ذلك من معامل الصناعة.

ثالثاً = هبون. وهي ضاحية المهدية وبها المتاجر الشعبية وهي ما بقي من عهد البونقيين فهبون بالبونيقية بمعنى السوق. ولما تم بناء المهدية قالت الشعراء في تهنئة المهدي. وجعلت سوق أدب لذلك فمما استحسن قول ابن بديل =

بنيت لـدى أقـصى المـغـارب دار
قطنت بهـا الاحـــرار والابـــرار
لاذت بـبرد المــاء لمـا أن درت
أن القـلـوب عـلى الحسـين حـرار

قال التجاني =

«وانزل المهدي جنده وخاصته بالمهدية وابتنى لعامة الناس المدينة الأخرى المسماة زويلة وهي أحدى المدينتين وبينهما

قدرغلوة سهم وجعل الأسواق والفنادق فيها وأدار بها خنادق متسعة لتجتمع بها مياه الأمطار. وبخارج زويلة «حمى زويلة» وكان كله جنات وبساتين بسائر الثمار وأنواع الفواكه.

واستولى النرمان على المهدية في خبر يطول ثم الموحدون ثم الإسبان إلى أن أجلاهم عنها الأتراك.

أنظر = المهدية الفاطمية = المقريزي انعاظ الحنفاء. ابن حماد = تاريخ بني عبيد القاضي النعمان = المجالس والمسايرة، ابتداء الدعوة، اخبار الأستاذ جؤذر.

المهدية الصنهاجية = ابن العذاري، التجاني، ابن خلدون، ابن الأثير.

المهدية عامة = دائرة المعارف الإسلامية مادة المهدية.

الأدب المهدوي.

أولاً = العصر الفاطمي =

1) محمد ابن بديل كاتب أبي قضاعة. وهو الذي مدح المهدي عند انتهاء بناء المهدية وهو القائل أيضاً =

حل بـرقـادة المسيـح ... حل بها آدم ونـوح

حل بها أحمد المصفي ... حل بها الكبش والذبيح

حل بها الله ذو المعالي ... وكل شيء سواه ريح

أنظر عنه = ابن العذارى1 – 200. والتجاني 324

2) محمد بن هاني المهدي. ترجمته معروفة وديوانه مطبق.

3) علي الإيادي =

وفيات ابن خلكان - زهرة الآداب المنتخبات التونسية للأستاذ ح.ح. عبد الوهاب.

4) الفزاري

5) تميم بن المعز الفاطمي. ترجمته وديوانه معروفان.

أنظر = دائرة المعارف الإسلامية. يتيمة الدهر للثعالبي - أعيان الشيعي. ومقدمة الديوان.

6) القاضي النعمان. ترجمته معروفة

ثانياً العصر الصنهاجي

مصادر الأدب الصنهاجي بالمهدية توجد في أنموذج ابن رشيق والروضة الموشية في شعراء المهدية لابن رشيق أيضاً. والحديقة لأمية ابن عبد العزيز، والخريدة للإصبهاني والحلة السيراء لابن الأبار ولعثمان بن أبي القاسم بن عبد الرحمان بن بشرون المهدي.

كتاب = المختار فيما اختاره لأهل عصره من أنموذج الأشعار.

7) عبد الله بن إبراهيم

التجاني 366

8) علي بن عبد الكريم بن أبي غالب (مثله)

9) محمد بن حبيب (مثله)

10) عثمان بن أبي القاسم بن عبد الرحمان بن بشرون المهدوي صاحب كتاب = المختار فيما انتقاه لأهل عصره من الأشعار «(التجاني 366).

11) تميم بن المعز الصنهاجي. أمير من أمراء صنهاجة وشاعر له ديوان اليأس وهو تحت الطبع الآن. (الأعلام للزركلي + مصادر)

12) أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت المهدوي: الف للأفارقة = 1) كتاب الموسيقى وهو الذي نقل إلى تونس الموسيقى الأندلسية لأول مرة = 2) الحديقة في شعراء عصره = 3) الرسالة المصرية وفيها بيان المهمة التي بعثه الصناهجة من أجلها إلى مصر = 4) تتمة لتاريخ إبراهيم الرقيق.

(الأعلام للزركلي + مصادره. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة + مصادر)

13) أبو الحسن علي الخولاني المشهور بالحداد. قرأ عليه بالمهدية أبو بكر بن العربي وقد ضمن ديوان حوادث الفاطميين وصنهاجة

ابن العذارى = البيان المغرب ج ا ص. 426 و432 ومخلوف رقم 329.

14) أبو يحي زكرياء بن الحداد المهدوي. قاضي المهدية. له فتاوي محررة مشتهرة

مخلوف رقم 427.

15) أبو عبد الله محمد بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدوي. من شعراء الأمير علي بن يحي بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي. كان من الفضلاء العلماء الأدباء جمع بين رقة المعنى ومتانة اللفظ وقرب المقصد توفي في حدود 520.

- مخلوف رقم 366.

16) أبو الطاهر إبراهيم بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدوي. الإمام العالم الجليل الحافظ ألف = 1) كتاب التنبيه ذكر فيه أسرار الشريعة، 2) كتاب جامع الأمهات/ 3) التذهيب على كتاب التهذيب للبرادعي، 4) المختصر. أكمله سنة 526.

مخلوف رقم 367.

17) أحمد بن محمد بن سعدي المهدوي. رحل إلى المشرق وأخذ عن أعلام منهم الايهوي.

مخلوف رقم 274.

18) أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي المقرى النحوي المفسر. أصله من المهدية ودخل الأندلس. صنف كتبا مفيدة منها تفسيره الشهير. ومات سنة 440.

مخلوف 284.

ثالثاً = العصر الموحدي

19) عبد الحق المهدوي من أحفاد الإمام المازري له كتاب يرد فيه على ابن حزم. توفي بمراكش سنة 631.

مخلوف رقم 533.

20) زكرياء يحي البرقي المهدوي. توفي في القرن السابع.

مخلوف 539.

21) أحمد بن عثمان الألياني. نسبة إلى قرية من قرى المهدية. الفقيه الأديب الشاعر الكاتب البليغ.

التجاني - مخلوف رقم 632.

22) عثمان المهدوي المعروف بابن عربية. كان حافظا للحديث، مقدما في فنون الأدب فحلا من فحول الشعراء.

له = 1) فوائد الكلم النبوية 2) الزهرة في فوائد العشرة، 3) آثار السحابة في آثار الصحابة، 4) سنن القوم في آداب الليل والنوم، 5) المستوفى في أحاديث المصطفى. 6) قصائد المرح ومصائد المنح. وهو ديوان شعره، 7) تخميس على الشقراطسية.

ولد بالمهدية سنة 600. توفي بتبرسق سنة 659.

التجاني - مخلوف رقم 633.

23) أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي. ولد بالمهدية في حدود 580. وتوفي بالمهدية سنة 677. كان

مشاركا في أنواع العلوم وكان على الخصوص شاعراً قرأ بالمهدية ثم بتونس ثم بمصر. ألف = 1) «ديوان شعر»، 2) فهرست أسماء من لقيه من العلماء بمصر وتراجمهم.

التجاني 367.

24) أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم بن الخيار اللواتي. ولد بالمهدية سنة 600. قرأ بالمهدية ثم بمصر ثم بالمهدية ثم بغداد. توفي بالمهدية سنة 683. التجاني ص 368.

25) وليد أبو القاسم. كان شاعرا ضعيفا.

التجاني ص 368.

26) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ن عثمان الزناتي المعروف الحنفي. ولد بالمهدية. ودرس بها ثم انتقل إلى مصر فدمشق فالموصل ودرس هناك وهناك انتحل مذهب الإمام أبي حنيفة ودرس حتى صار إماما. كان شاعراً فحلاً.

التجاني 369.

27) أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الله بن السماط البكري المهدوي. الفقيه الأديب الشاعر. وكان قد قصر شعره على مدح الرسول صلى الله عليه وسلّم. توفي بالمهدية سنة 690. تيجاني 380.

رابعاً = العصور المتأخرة.

28) البشير صفر العلامة الصحافي المؤرخ الجغرافي الزعيم الوطني، ولد سنة 1864 بالمهدية. وكان أبوه مصطفى صفر ضابطا بالجيش ومؤلفا في الفنون العسكرية له = 1) تاريخ تونس، 2) مفتاح التاريخ، 3) علم الجغرافيا عند العرب، كتاب الجغرافيا الخ... هذا علاوة عن مقالاته ودراساته بجريدة «الحاضرة «التونسية أنظر عنه = الأعلام للزركلي، وجريدة الزهرة 1917. ومجلة قدماء الصادقية 1924.

29) الطاهر صفر. من الزعماء الوطنيين ومن نبغاء التونسيين. تخرج في الحقوق من باريس. وألف كتباً في البيداغوجيا، وله مجموعة مقالات عن السياسة ودراسات في الحقوق. وبالمهدية اليوم جماعة من الفضلاء والأدباء والشعراء ضربوا بسهم مصيب في الحركة وساهموا مساهمة مرموقة في الشعر الوطني السياسي الذي ألهب الإحساس في الشعب.

المنستير

س 20،30 الوصول إلى المنستير.

- حفلة ساهرة بالرباط (الصوت والضوء).

المبيت بالمنستير.

السبت 5/ 3/ 1966

س 8،30 صباحاً. زيارة مقهى الكحلية.

س 9 – زيارة الرباط.

س 10 – زيارة معالم المنستير وقصر الرئاسة.

س 11،30 الذهاب إلى سوسة.

س 12 الوصول إلى سوسة.

المنستير – العهد القديم:

روسبينا – Ruspina، اللفظ بونيقي مركب من جذرين ساميين كنعانيين = روش = راس. فالألف في النحو المقارن للغات السامية يحول إلى واو والسين إلى شين. وروش كثيرة في أسماء المدن التونسية منها روش سوك مونا. راس سوق المونه وهي بلدة بشمال تونس الشرقي تسمى غار الملح وكان يسميها الافرنج Porto Farina والجذر الثاني هو Pena أما لإسم قبيلة بربرية أو الزاوية بالبونيقية. لكثرة الزوايا الموجودة بالمكان. ولم يبق من آثار البونيقيين إلا مغاور البحرين ومغارة الكحيلة التي هي معبد تانيت البحري.

أنظر عن المنستير القديمة 165 – Tissot II وكانت المنستير مركزا من كبار المراكز في حرب يوليوس قيصر مع يوميوس فيما يسمى بالحورف الإفريقية De Bello Africano وقد كتب يوليوس نفسه مذكرات عن ذلك (انظر ع.ك. جريدة العمل – تاريخ المنستير) وخصوصاً Tissot – la campagne de Cesar en Afrique – extrait des mémoires de l'Académie des Insciptions 1883.

المنستير الإسلامية

المنستير مدينة واقعة على شبه راس صخري بين خليجين لطيفين يشرف عليهما الرباط. والمنستير لفظ يوناني معناه محل التعبد المنفرد وهو الرباط بإحدى معانيه على الأقل.

وذلك لأن هذا البلد الأمين كان محل تعبد لرهبان النصاري في العهد الروماني ثم البيزنطي وبخاصة منهم القديس فوجانس. فلما جاء المسلمون أقروا اللفظ وبنو الرباط.

وقد بنى هذا الرباط الوالي هرثمة بن أعين الذي أرسله هارون الرشيد لتمهيد الأمن بالبلاد فصدّ ثورات البربر المتوالية وهجمات الأسطول البيزنطي المتعاقبة.

وقد رأى هرثمة أن يبنى سورًا متوالياً من الأربطة بين طنجة والإسكندرية يجعله رباطا بعد رباط لحراسة الثغور فبنى رباط المنستير سنة 179 هـ 796 م وإليه يرجع معظم البناء والصومعة المستديرة. ثم أضاف أهل الخير بعد ذلك أجزاء إلى هذا الرباط.

ولما جاء الأغالبة بنوا أربطة أخرى وشيدوا سور المنستير الذي لا يزال على حاله الأول وبنوا على الخصوص رباط سقانس ورباط لمطة قرب المنستير ورباط جزيرة قورية أمام المنستير (12 كم في الشرق منها).

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل المرابطة بالمنستير ذكرها أبو العرب التميمي في طبقاته والتجاني في رحلته.

والمرابطة هي التطوع بالإقامة في رباط مدة يعينها المرابط وهو حر في تعيينها لكنه يصير ملتزما بها بعد التعيين. والرباط يكون بالمنار وهو الرباط الحي اليقظ. وبسطح الرباط وهو رباط الانتباه. أما بقية الجماعة فيتولون القيام بأعمالهم المدنية احتسابا لوجه الله. (بين طنجة والإسكندرية 6000 كم. وبين الرباط والرباط 6 كم. فهذه الف رباط. لا يزال الكبير منها. ورباط الإسكندرية لا يزال قائما قرب النادي البحري. يقوم المرابط بأعماله المدنية فالمعلم يعلم فهذه ألف مدرسة. والطبيب يعالج فهذه ألف مستشفى. والكغاذ يصنع الكاغظ فتيسرت أسباب الثقافة، والنساخ ينسخ الكتب فتخرج من كل مخطوط ألف نسخة على الأقل. فعمت الثقافة وحصن الكتاب العربي فما ضاع منه قليل بالإضافة إلى ما كان يضيع من الكتاب اليوناني أو الروماني.

والبريدي ينظم البريد الجوي بواسطة الحمام الزاجل أو الحمام البطائقي (انظر ج.14 من صبح الأعشى). وينقل الأخبار ليلا بواسطة علامات نارية متفق عليها.

وكان الناس يرابطون في شهر رمضان على الخصوص. فقد كان سحنون وتلاميذه يرابطون بالمنستير في رمضان. ومن الأربطة المشتهرة رباط الطوب المسمى الآن بسيدي عبد الحميد قرب سوسة وهو مصطاف جميل لأهل سوسة وغيرهم.

والمقصود بسيدي عبد الحميد هو عبد الحميد بن الصائغ الفقيه الذي سنتحدث عنه بعد وأربطة سوسة ورباط هرقلة

ورباط القصر المدفون قرب المفيضة ورباط المنارة ورباط بير بورقبة ويسمى قصر الزيت وكان بلدة رومانية تسمى سياغو. ورباط الحمامات. وأمّا قرب تونس فرباط رادس ورباط حلق الوادي (قصر الأمير) ورباط جبل المنار (سيدي بو سعيد) الخ...

أنظر = رحلة التيجاني إبراهيم شبوح = اطروحة عن الأربطة/ Marcais:Manuel ع. ك. = معاهد التعليم.

وعن الأربطة بغرب البحر المتوسط = Homenaje a Francesco Codera.

وتبدو المنستير لطيفة رائعة وسط إطارها من أسوار الأغلبي وقصر رباطها الصافي الخطوط العالي المنار البديع الشرفات وهالة الجزر التي هي أمامها كعقد جوهر في جيد غادة لون العسل.

ويرجع إلى العهد الفاطمي الجامع الكبير. وإلى العهد الصنهاجي الحمامات وجامع السيدة أم ملال جدة المعز وقبة الإمام المازري ويرجع إلى العهد الحفصي باب الدرب (1260) وباب السور وأشغال ترميم الرباط التي قام بها أبو فارس عبد العزيز (124 - 1425).

ويرجع إلى العهد المرادي ترميم إحدى أبواب الرباط (1648).

وانصرفت العناية إلى إنشاء المنستير الحديثة التي هي جوهرة في عقد المنشآت التونسية ببيوتها الحديثة البسامة وشوارعها الفسيحة وفنادقها الرائعة وعماراتها الناطحة السحاب ومبانيها الثقافية والرياضية والبلدية والصناعية التي قل أن يشبهها مشابه.

وكذلك انصرفت العناية إلى إعادة الشباب إلى سقانس التي هي مصطاف المنستير فبنى بها القصر الجمهوري في انسجام كلي وتجميع لطيف بين المعمار الإيراني والأندلسي والعربي والحديث في إطار من الأشجار والأزهار وأمواج البحار وفي جو من حفيف الأغصان وتغريد الطيور على الأفنان والشمس تموه بأشعتها الذهبية وشعورها العسجدية بياض الديار وخضرة المزارع إلى نضرة وجريد النخيل إلى مراوح كبيرة منسوجة من فضة ونضار تروح عن النفوس الكدرة وتبرد الأفئدة الحرة فتبهج النفوس وتثلج الصدور وتقر العيون.

والمنستير هي البلد الطيب الذي ولد فيه فخامة الرئيس في 3 أغسطس ببيت متواضع الأحجار عظيم الاعتبار جليل الافتخار. فارتوى هنالك بمعنى الجهادية التي تشبع منها الرباط فأشعت بها أحجاره وبثها مناره وأعلنتها أسواره.

فالمنستير دار رباط دائم وحلقة من الجهادين لا تنفصم عراها.

انظر عن المنستير = دائرة المعارف الإسلامية مادة منسية + مصادر ع.ك. تاريخ جريدة العمل التونسية 1958.

أدباء المنستير وعلماؤها:

1) مكي بن عبد الرحمان - أبو عبد الله مكي بن عبد الرحمان المستيري القرشي. الإمام الفاضل من فقهاء إفريقية وعلمائها. من أصحاب أبي الحسن القابسي كان كاتبه ومختصا به.

المدارك لعياض.

مخلوف رقم 231.

2) أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس الصقلي. الإمام الحافظ. أخذ عن شيوخ صقلية أمثال علي الحصائري القاضي. وعتيق بن عبد الحميد الفرضي وأبي بكر بن عباس. وعن غيرهم من شيوخ القيروان الف 1) كتاب الفرائض. 2) شرح على المدونة أضاف إليها كثيرا من الزيادات. توفي في ربيع الأول 451 ودفن قرب سور الرباط بالمنستير وقبره هناك مشهور.

مخلوف رقم 294.

3) الإمام المازري - أصله من مدينة مازره بجنوب صقلية الغربي على مقربة من المياه الإقليمية التونسية. وهناك نزل الغازي أسد بن الفرات سنة 212 هـ لفتح صقلية في مكان يسمى رأس البلاط.

وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري. له تأليف. 1) شرح التقليد ليس للمالكية مثله. 2) إيضاح المحصول من برهان الأصول. 3) المعلم في شرح صحيح مسلم. قال ابن خلدون = اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه.

4) التعلم على المدونة وهو أكبر كتبه. 5) الكشف والأنباء على المترجم بالإحياء. وهو ردّ على إحياء علوم الدين للغزالي.6) تعليق على ردّ أحاديث الجوزقي. 7) إملاء على رسائل إخوان الصفاء. 8) النكت القطعية في الرد على الحشوية. 9) له فتاوي ورسائل كثيرة. 10) كان رئيس المدرسة الطبية بالمهدية والمنستير وله تأليف في الطب.

توفي في ربيع الأول 536. وهو دفين المنستير وضريحه مشهور. مخلوف رقم 371.

4) محمد زيتونة هو = أبو عبد الله محمد زيتونة الشريف المنستيري. عالم المنستير وشاعرها ومفتيها وغيث واديها ومصباح ناريها.

ولد سنة 1081 هـ. وقرأ بالمنستير ثم بالقيروان ثم بتونس ثم بمصر ومكة والمدينة. ورجع لتونس ولازم التدريس والإفادة وتولى الإمامة والخطابة بجامع باب البحر من تونس العاصمة.

ألف = 1) حاشية على الوسطى في مجلدين. 2) شرح منظومة البيقوني. 3) تعاليق على أبواب متفرقة من صحيحي مسلم والبخاري.4) كتابه على ألفية ابن مالك. 5) شرح على خطبة مختصر السعد. 6) حاشيه على تفسير أبي السعود جاوز نصفه في 16 مجلدا في القالب الكبير. 7) رسائل على مباحث في مواضيع متعدّدة.

توفي 5 شوال 1138. مخلوف رقم 1267.

5) محمد سعادة هو أبو عبد الله محمد سعادة المنستيري الدار التونسي القرار مفتيها وقاضيها مولده بالمنستير سنة 1088 قرأ بالمنستير ثم بتونس ثم بمصر. ثم رجع لتونس وتصدر للتدريس فأفاد وأجاد. وولي قضاء الجماعة بتونس سنة 1157.

الف = 1) حاشية على الاشموني سماها تنوير المسالك. 2) منظومة في المناسك. 3) قرة العين في فضائل الأمير حسين.

توفي بتونس سنة 1711 ودفن بتربة سيدي عبد الرحمان بالمر. مخلوف رقم 1370.

6) أبو عبد الله محمد مزالي المنستيري مفتيها وفقيهها وعالمها وشاعرها المبرز. ولد بالمنستير في منتصف القرن الثاني عشر. وباشر التدريس بمقام الإمام المازري سنة 1178 وولي الإفتاء سنة 1200. وتوفي سنة 1234. ودفن بالمقام المازري.

مخلوف رقم 1467.

7) الحاج محمد زعفران العلامة المتحلي بالمعارف والعرفان الفقيه العالم القاضي العدل تولى القضاء بالمنستير. ثم نقل للفتوى بسوسة وارجع للقضاء سنة 1202. توفي سنة 1234.

مخلوف 1468.

8) حسن بن علي الخيري كان من أعلام العلماء متضلعا في المعقول والمنقول له معرفة تامة بالنوازل والأحكام. نسخ كثيرا من الكتب المؤلفة في الفقه والنوازل والأحكام Jurisprudence بيده وحرر تقارير عنها وألف رسائل فيها.

تولى الفتيا بالمنستير سنة 1235 والخطابة والإمامة بجامعها 1247 والقضاء سنة 1257 ثم رئاسة الفتيا 1269. وتوفي سنة 1280. مخلوف 1561.

9) محمد الجدي بوزقرو المنستيري هو أبو عبد الله محمد الجدي بوزقرو المنستيري الإمام العمدة الفقيه النبيه. قرأ بالمنستير ثم بتونس. ولي الفتيا بالمنستير سنة 1269. والقضاء سنة 1269. وامتحن بالأبعاد إلى صفاقس عقب ثورة علي بن غذاهم سنة 1280 وذلك بأمر من وزير الحرب أحمد زروق حين قدم الساحل.

وحصل لهذا العلامة إقبال بصفاقس فوق ما يقال وتصدر لإقراء العلوم وحصل النفع به. وفي حدود 1288 فرج عنه وصدر له الإذن بالرجوع إلى مسقط رأسه المنستير وولي رئاسة المفتيين بها وإمامة جامعها الأعظم، وتصدّر لإقر اء العلوم وانتفع به جماعة.

ألف فتاوى في غاية الإبداع. توفي سنة 1298 هـ.من جراء الانفعال من الاحتلال الفرنسي. وكثير من الأحرار استشهدوا يومئذ بمرض سموه «مرض الاحتلال «علاوة عمن استشهد في ساحة الوغى من الأبطال.

مخلوف 1576.

10) أحمد موسى المنستيري الفقيه الأديب. هو أبو العباس أحمد بن الحاج موسى ابن الحاج قاسم بن عبد الرحمان موسى

مخلوف الشريف. كان حافظا لكثير من كتب الأدب وله قلم بارع في تحرير الفتاوى وتقرير النوازل والأحكام وتنزيل الفقه على الجزئيات. ألف مجاميع فقهية ونوازلية وله ديوان شعر. توفي سنة 1323 هـ.

مخلوف 1669.

11) حسين لاز المنستيري كان عارفا بالحساب والفرائض أخذها عن الشيخ محمد الجدي بوزقرو وعنه أخذها جماعة منهم محمد مخلوف المنستيري.

مخلوف ص. 440.

12) على زهرة الميقاتي المنستيري المختص في العمل بالربع المجيب. قرأ هذه العلوم على الشيخ محمد الجدي بوزقرو وقرأها عليه محمد مخلوف.

مخلوف ص. 440.

13) محمود موسى شاعر المنستير وأديبها ترجم له مخلوف في أماكن مختلفة من كتاب شجرة النور ولا سيما مع ترجمة ابيه رقم 1669. وفي ترجمة حمودة تاج رقم 1686. وكان محمود موسى من تلامذته وقد رثاه لما توفي سنة 1338 بقوله =

كـــدر الــصــفــو عــنــدنــا مــن نعاك

رفــع الـــصــوت جــهــرة وعــنــاك

وعرف الشيخ محمود موسى الثلث الأول من هذا القرن بشعره المنشور في الصحف وولى الإفتاء بالمنستير.

14) محمد بن محمد مخلوف المنستيري. ولد في منتصف القرن الماضي. وقرأ بالمنستير وتونس والشرق. وولى وظائف شرعية عدة. وألف كتبا أهمها = شجرة النور الزكية في تراجم المالكية. وهو كتاب جليل به 1800 لعامة طبقات المالكية بالمغرب والمشرق. وجزؤه الثاني به تاريخ المنستير بتفصيل وقد ترجم لنفسه في آخر الجزء الأول من كتابه المذكور. والأدب المنستيري اليوم حافل ناهض مرموق.

15) عبد الله الزناد أستاذ مرب وأديب فاضل ومؤرخ في مواضيع مختلفة وأعتنى خاصة بالإمام المازري. فألف عنه. وهو مخرج أجيال إلى جانب آداب جمة وأخلاق فاضلة ووطنية فياضة.

16) محمد مزالي. مبرز في الفلسفة من جامعة باريس. وأستاذ تخرجت عليه طبقات نابهة. وباشر وظيفة مدير الشباب والرياضة فكان خير راع لهذا الشباب التونسي الذي أهملته الحماية وحفت به عناية فخامة الرئيس. فأخرج جيلا من رأسمالها البشري قوي البنية والأخلاق والثقافة وانتشل أجيالا من هوة الإشراف على الرذيلة والإجرام.

وهو الآن مدير الإذاعة والتلفزة بالجمهورية التونسية يديرها بيد من حديد مغشاة بقفاز من حرير وبدراية وسياسوية ولباقة وحكمة.

ثم هو بخاصة مدير مجلة الفكر التونسية التي هي قطب الدائرة لأقلام التونسيين من أكبر جيل إلى أحدث جيل وعمرت ولا تزال على مرور الأجيال.

17) الهادي النعمان. شاعر المنستير وممجد الثورة ومؤرخ الجيل الصاعد من الأدباء وصاحب القلم السيال في المواضيع الأدبية المختلفة.

وبخاصة فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة الذي درس العربية وحفظ الدواوين وتعمق في بحوث الأدب على أستاذة الصادقية وشيوخها. فبرز في معرفة الأدب ونقد الشعر والنثر وتوغّل في تاريخ الفكر العربي. فصار فصيح اللسان جلي البيان خطيبًا مصقعًا وكاتباً لوذعياً يشار إليه بالبنان فمقالاته بالصحف والمجلات وخطبه هي معلم أدبي ونظام فلسفي وفكر وقّاد لموع ونبراس هدى وعلم اهتداء.

ودرس بالصادقية وفرنسا الآداب العربية والفرنسية. فصار من كتاب اللغة الفرنسية وفصحاء خطبائها وكتبه وخطبه المطبوعة ومقالاته ودراساته المنشورة تشهد له بذلك وتجعله في مقدمة حاملي الأقلام باللسان الفرنسي أيضاً علاوة عن اللسان العربي المبين الذي لم يستطيع أن يخبئ عنه سرا من أسراره.

سوسة

س 12 – الوصول إلى سوسة

س 13 – الغذاء

س 15 – زيارة سوسة

1) سوسة البونيقية – أسس البونيقيون سوسة في القرن التاسع. وأطلقوا عليها إسما بونيقيا هو حذر = بمعنى اجتناب أو خطر. والموت أي أنها المدينة التي يجب أن يجتنب ما في بحرها من الصخور التي قد ترتطم عليها المراكب. واللفظ السامي هو نفسه المطلق على جنوب جزيرة العرب «حضرموت» ولا يزال من العهد البونيقي المرسى المنقور في الصخر. ومتحف سوسة للعديات مملوء بالتحف البونيقية.

2) العهد الروماني – كانت «هاد ريميتوم» «اللفظ البونيقي» مدينة حرة عند استيلاء الرومان على قرطاجنة سنة 146 ق.م وبقيت كذلك إلى عهد أوغسطوس قيصر. ثم صارت بلدية استعمارية في عهد الإمبراطـور طراياتوس قيصر. وسماها الوندال بإسم أحد ملوكهم هو نريق فقيل لها:

«هونيريقويوليس» ولما انتزع البيزنطيون البلاد من الوندال سميت مدينة يوستينيا سوس نسبة إلى الإمبراطور البيزنطي الشهير.

وكانت سوسة أول البلدان التي اعتنقت النصرانية في آواخر القرن الأول أو أوائل الثاني. ويعتبر ذلك تخلصا من ربقة الاحتلال الروماني. لذلك تجد في متحفها مجموعات نادرة المثال عن العهد النصراني الأول بالديار الإفريقية مشخصا

في الفسيفساء ومشاهد القبور والرموز. وكذلك في السراديب السرية (كاتاكومب) التي كان يلجأ إليها المتنصرون الأولون فرارا من اضطهاد الحكومة الرومانية. فيعيشون فيها تحت التقية ويقيمون بها طقوسهم ويدفنون موتاهم. وقد ورد ذكر أساقفة كاثوليكيين في أواسط القرن الثالث وأوائل الرابع وفي سنوات 381 - 411 - 453 - 484 - 525 - 552 - 553 - واسقف دوماقوسي 411.

وقد بقي من آثار سوسة الرومانية = أساس معبد - حنايا على وادي الخروب طولها أكثر من 4 كم أصلها سد وحوض استصفاء. وتؤول الحنايا إلى صهاريج كبرى في شمال السور.

مواجل كبرى ثم على الخصوص السراديب النصرانية. ومتحف سوسة للعادات به مجموعات من الفسيفساء عديمة النظير.

أنظر عن سوسة =

Menage – L'Afrique Chrét

Hammezo – heit de Sousse

Comlées – les catacombes africanies

Ch. Tissot geo. Comp.

سوسة الإسلامية

فتح سوسة الإسلامية عبد الله بن الزبير سنة 41.

واهتم بها الأغالبة في القرن الثالث. فبنى زيادة الله بن إبراهيم رباطها سنة 206 هـ. وهذا الرباط جميل جدا مستطيل الشكل في أركانه صروح مستديرة وبه مئذنة مستديرة عليها التاريخ بالخط الكوفي المحفور. وبه مسجد كبير لا يخلو من عالم يبث العلم في صدور الرجال. ومدخله باب من حديد ينزل بسلاسل وسقف السقيف «مسقط لأي جملة فجوج بين الحوائز يسقط منها الزيت الحامي والنار الفارسية.

وهو الآن متحف به الآثار الإسلامية السوسية.

وبنى أبو العباس بن محمد بن الأغلب جامع سوسة الجميل جدا سنة 237 هـ وله قبة لطيفة وقد زخرف صحنه بالآيات القرآنية بالخط الكوفي البارز الطومار. ونجد مثل ذلك بجامع الزيتونة الذي بنى على عهد المستعين العبّاسي وعلى يدي نصير مولاه سنة 250 هـ. كما نجد ذلك أيضاً في صحن جامع ابن طولون بالقاهرة مما يدل على أن هذه ظاهرة عمت فئة من الجوامع في عهد واحد. ولعله من تأثير المعمار الإفريقي.

بني سور سوسة الجميل الرائع سنة 249 هـ. وهذا مكتوب على السور بجهة الباب الغربي من أبوابها والذي بنى الجامع هو مدام الفتي والذي بنى السور هو فتاتة الفتى وقد بنى جامع فتاتة قرب الأسواق حيث كان منزله ولا يزال موجودا كما دفن هو بالتربة المجاورة للسور حيث توجد كتابة التاريخ. ولا يزال يوجد بسوسة قصر أغلبي، ومعاهد أغلبية أخرى منها الرباط الأعلى بناه خلف الفتى سنة 249. وتحت مدينة سوسة جملة

صهاريج تسمى السفرة ربما كانت من بناء الفنيقيين وجددها الأغالبة. ومن آثار سوسة الأغلبية الأسواق الجميلة الرائعة وقبة بين القهاوي وجامع الأختين. وربما كانت المدرسة الزقاقية من المدارس التي ترجع إلى العهد الأغلبي إذا اعتبرنا القبور التي ترجع إلى ذلك العهد والموجودة فيها.

ومن سوسة خرج أسد بن الفرات لفتح صقلية سنة 212 هـ.

وبها من العهد الحفصي رباط أبي جعفر وهو على شاطئ سوسة الجميل وخليجها الرائع وبساتينها الفيحاء وحدائقها الغناء وسوسة اليوم جوهرة الساحل. وهي مدينة قديمة وحديثة عربية وغربية. حيها العصري أجمل حي، وقصورها الشامخة تناطح السحاب. فان شئت عشت في القرن العاشر، وان شئت عشت في القرن العشرين.

انظر عن سوسة = التجاني ص 25 البكري - ابن حوقل - الإدريسي.

مصطفى زبيس = معالم سوسة.

دائرة المعارف الإسلامية = سوسة.

وسوسة بلاد مصنعة. كانت مشتهرة من قديم بمنسوجات القطن وبها اليوم معامل التحليج والغزل ومصانع البلاستيك ومعاصر الزيت ومعامل الصابون وتصبير الأسماك ومرساها من أفخم مراسي الزيوت والحلفاء.

علماء سوسة وأدباؤها:

1) محمد بن رزين السوسي. ترجم له عياض في المدارك.

2) ريدان بن اسماعيل بن ريدان. ترجم له عياض في المدارك.

3) يحي بن عمر الكناني دفين سوسة. مولده 223 وفاته 298. قرأ على سحنون وغيره له = 1) أحكام السوق - طُبع 2) أحمية الحصون 3) تاريخ المنستير وفضائلها وفضل الرباط 4) اختصار المستخرجة 5) أصول المدن 6) كتاب الصراط 7) كتاب الميزان 8) كتاب الرد على الشافعي (مكتبة القيروان). مخلوف 97. الأعلام للزركلي + مصادر.

4) محمد بن ابن حميد السوسي. ترجم له عياض في المدارك.

5) عبد الحميد بن الصائغ. دفين سيدي عبد الحميد (قصر الطوب مصطاف سوسة على طريق المنستير). له تعليق كبير على المدونة. توفي سنة 468. مخلوف رقم 327.

6) نفيس الغرابلي السوسي أبو الغصن... (ترجم له عياض في المدارك).

7) حمدون بن سهلون. ترجم له عياض في المدارك. وهو صاحب رباط سيدي سهلون القريب من سوسة. وهو حموه أو أبو عبد الله حمود الفقيه الزاهد صاحب ابن عبدوس. توفي سنة 327 / 938. كان عابدا بقصر جبنيانة وذكر «رياض النفوس» أن الشيخ الجبنياني تلميذه.

8) أبو بكر عتيق السوسي كان حافظا فقيها محدثا. توفي بعد 430 هـ / مخلوف رقم 287.

9) محمد بن عبدوس السويسي. ترجم له عياض في المدارك.

10) محمد بن أحمد بن يونس أبو البشر السوسي. ترجم له عياض في المدارك.

11) أبو حبيب نصر السوسي. ترجم له عياض في المدارك.

12) موسى بن أحمد الغرابلي السوسي. ترجم له عياض في المدارك.

13) الحسين بن نصر السوسي - أبو علي. ترجم له عياض في المدارك.

14) عبد الله بن حمود الشلمي السوسي. ترجم له عياض في المدارك.

15) أبو عبد الله محمد بن خليفة السوسي. ترجم له عياض في المدارك.

16) عمرون بن محمد بن عمرون السوسي أبو حمص. ترجم له عياض في المادرك.

17) أبو الحسن علي بن أحمد اللواتي السوسي. ترجم له عياض في المدارك.

18) أبو بكر عتيق السوسي. ذكره عياض في المدارك.

19) سهل بن إبراهيم الوراق. من شعراء سوسة في العهد الفاطمي في القرن الرابع قال بفخر بجهاد سوسة ضد مخلد بن كيداد الخارجي الذي حاصرها ضد إسماعيل المنصور الفاطمي.

إن الخـــوارج صـدهـا عــن سوسة
مـنـا طـعـان الـسـمـر والإقـــدام
وجـــلاد اسـيـاف تطاير بينهـا
في النقع - دون المحصنات - الهام

20) أحمد بن أفلح: من شعراء سوسة في العهد الفاطمي

قال في نفس الموضوع:

مـديـنـة سـوسـة بـالـغـرب ثغر
تـديـن لـه المـدائـن والـشـغـور
لـقـد لـعـن الـذي بـغـوا عليها
كـما لـعـنـت قـريـظـة والـنـضـير
أتـاهـا الخـارجـون ليملكوها
فـكـان مـن الإلـه لهـا نصير
ولـولا نـصـره لـدهـت دواه
يشيب لهـولهـا الـطـفـل الصغير
سيبلغ ذكـر سـوسـة كـل أرض
ويـغـشـى أرضـهـا الجـم الغفير

انظر عن الواقعة وأخبار الشاعرين = التجاني 28، البكري = المسالك والممالك 35، ابن العذاري البيان المغرب 1 - 327.

ومن شعراء العصر الصنهاجي = (الخامس والسادس)

21) محمد بن الحسين بن أبي الفتح بن ميخائيل القرشي.

قال عنه الحسن بن رشيق في كتاب الأنموذج = «هو من أهل سوسة وسكن القيروان. وكان يسلك مسلك قدامة في انتقاد الشعر ومطالبة الحقائق. وربما سهل الفاظه وعبث بملح. كقوله =

صـــــوّر عـــبـــد الله مـــن مسكة
وصـــــوّر الإنـــســـــان مـــن طين
أبـــدعـــه الخـــالـــق سبـحـانـه
كـمـثـل حـــــور الجـنـــة الـعـين

قال ابن رشيق = لم أتصفح هذه إلا مرة واحدة. فوجدتها قد علقت بنفسي وخفت على لساني حتى كدت أتهمه فيها لولا علمي به.

وشعر ابن ميخائيل هذا في الأنموذج وغيره كثير مشهور (رحلة التجاني 33).

22) علي بن أحمد ابن الصفار السوسي. قال ابن رشيق = «هو شاعر متسع القافية عالم باللغة. فمن قصائده =

وآنـــست بالعلياء نـــارا لهـا سنى
لليلي، بليل قـد دجـا وتضغنـــا
ومـــا أوقـــدت إلا لخـابـط ظلمـة
مضل، وضيف جـاء يقتاد ضيفنا

(أي ضيفا ثانياً فهو ضيف الضيف فيسمى (ضيفين)

فـما بـلـغـا حـتـى أكـــلاّ والـصـقـا

قلوصيهما بالأرض من شدة الضنى.

قال ابن رشيق = «وهذا كلام عربي صريح قلما يأتي مثله للمتقدمين المحسنين فضلا عن المتأخرين، لا سيما في مثل هذه القافية.»

قال = وأنت ترى حال أبي نواس فيها على جلالته وجرأته.

«ويشير ابن رشيق هنا إلى قصيدة أبي نواس التي يمدح بها الفضل بن يحي بن خالد. ومطلعها:

طرحتم عن الترحال ذكـرا فغمنا

فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنا

«ولابن الصفار المذكور قصيدة أخرى في ذكر الشباب والشيب =

أرى البيض لا يمنحن ذا البيض منحة

سوى منحة تهدى الكآبة والثّكلا

كـــأن لأيــــام الــشــبـــاب بسالة

طلبن لأيـــام المـشـيـب بهـا ذحـلا

ولم تـر عيني كالشباب وحسنه

أقـر لأجـفـان الـقـيـان ولا أحـلى

ولا كبياض الشيب في أعين الدمى

قذى بسما يغشي القذى الأعين النّجلا

فلا غروا أن أرعى الشباب وعصره

ولا لوم أن أنعى المشيب ولا عذلا

قال ابن رشيق = «ما رأيت أعجب من البيت الثاني من هذه الأبيات. أما ينظر الناس إلى هذا المعنى الغريب، والتخلص العجيب في اللفظ الرائع المتمكن والنظم الرائق المستحسن. التجاني 34.

23) أبو الفتوح بن محمد. قال ابن رشيق (في الأنموذج) = «نشأ بسوسة وهو من أهلها. وشعره سهل وطئ لا يتكلف. فإذا تكلف ظهر عليه أثر ذلك.

وأنشد له ابن رشيق قصيدة يمدح بها الحسن ابن البلبل متولى سوسة على عهد المعز بن باديس الصنهاجي =

دم هكذا، دم على رغم العدا أبدا
علاك في اليوم تعلوها علاك غدا
قد قدر الله أن تعطى مناك، وما
أعطى حسودك إلا البين والكمدا

التجاني 35.

24) أبو موسى عيسى بن إبراهيم السوسي. المعروف بالقطان.

قال ابن رشيق = «كان شاعرا مشهورا بالشعر، مليح المقطعات كنت أسمع بذكره وهو بسوسة إلى أن اجتمعت به.فأنشدني بعض شعره. ثم قال = كيف رضاك عما سمعت؟ فقلت = أحسن رضا واتمه. فتكلم بكلام جميل. وانشد له ابن رشيق:

أهدى إلى الغصن الرطيب قواما
وإلى فؤادي لوعه وغراما

ظبي أعـــار الظبي منه محاجرا

وأعـــارنـــي مـــن سقمهن سقاما

مـــا ضره لـــو كـــان مـــع كلفي به

يهـــدي إلي مـــع الـــريـــاح سـلامـــا؟

التجاني 36.

25) عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسي. ويعرف بابن الغطاس. قال ابن رشيق = «هو من أبناء سوسة ومستوطنيها. وهو شاعر متدرب قد جمع إلى رقة المعنى متانة اللفظ وقرب المقصد. أنشد له من قصيد هذا بيت منه =

وكـــم ليلة جاذبت من راحتي بها

نهود العذارى في قميص الدجى الوجف

وأنشد له يصف خيارا

جـــســـم لجـــيـــن يـــكـــاد يجـــري

لـــــولا تـــــرّديـــــه ثـــــوب ســـام

مـــا اعـــتـرضـــتـــه الـــعـــيـــون إلا

رأت بـــــه مـــقـــبـــض الحـــســـام

التجاني 37.

26) محمد بن عبدون السوسي. قال ابن رشيق = .»..أصله من القيروان وهو من أكابرها وأبوه هو المنتقل إلى سوسة.» قال = «وهو شاعر وطئ الكلام، كلف بعذوبة اللفظ والتوصل إلى المعنى البعيد بلطافة وسكون جاش. لا يكاد يلغي بالشعر إلا قال وكانت له رحلة إلى ثقة الدولة يوسف بن عبد الله ملك

صقلية من الكلبيين. فامتحده. وأضافه يوسف إلى ولده جعفر فأدناه وقربه وكان من أكرم الناس عنده.وساله الرجوع إلى وطنه، ورفع إليه قصيدة يتشوق فيها معاهد سوسة منها =

بــــالله يـــا جـبـــل المــعــســكــر دع
ريـــح الجـــنـــوب لـعـلـهـا تـسري

كـــيـــما أســـائـــلـــهـــا فـتـخـبرنـي
مـــا يـفـعـل الجــــيران بـالـقـصر

يـــا قـــصر طـــارق الـــذي طرقت
أحـــشـــاي فـيـه بـلابـل الـصـدر

والله مـــا قـــصرت عـــن قلق
لـكـنّـني قـــصرت بـالـقـسر

فـسـقـاك مـنـهـل الحـيـا وسـقـى
عـــصرا تـقـضّي فـيـك مـــن عصر

يـــا «ربـــع «كـــم لي فيك مـــن غصن
يهـــفـــو صـــبـــاه وكــــم بـــدر

ومـــنـــاســـب الأوصــــاف أثقله
حـــقـــف يـــكـــاد يـــنـــوء بـالخـصر

قــــد طـــالمـــا عـــقـــدت قـلائـــده
مـــنّـــى مـــكـــان قـــلائـــد الـنـحـر

ولـــثـــمـــت صـــــدرا فـــاح عـنـبره
مـــن غـيرمـــا طـــيـــب ولا عطر

وضـــمـــمـــت أنـــفـــاسي عـلـيـه وقـد
أشفقت مـــن نفسي الـــذي يسري

وكـــأنّ صـــدري لا ضـلـوع له

وكـــان قلبي بـــان عـــن صـــدري

أعــطــي عــهــود الله صـفـقـة من

أعـطـى الـعـهـود بجانب الحجر

لـــو أستطيع سبحت مـــن طرب

شـــوقـا إلـيـك ســـواد ذا البحر

حـــتـــى أقـــبـــل جـانـبـيـك كـما

قـبـلـت فـيـك مـراشـف الـبـدر

وأفـــيـــض أجـفـانـي لـديـك كما

فـاضـت عليك ومـا بهـا تـدري

قال ابن رشيق = «رقة الشوق ظاهرة على هذا الشعر ولطف الحضارة مع مياه تكاد تنبع من جانبه. فهو الذي من الزهر غب القطر، وأحلى من الوصل بعد الهجر.» قال = «ولما سمعها جعفر إزداد به إعجابا وفيه رغبة فمنعه من السفر. فكتب إلى ثقة الدولة يسأله فيما سأل فيه ولده. ويشكر ما ناله من الجود ويذكر وطنه أيضاً =

يا قصر طـارق، همي فيك مقصور

شوقي طليق، وخطوي عنك مأسور

إن نـام جـارك إنّــني ساهـر أبـدا

أبكي عليك وباكي البين معذور

عندي من الوجد ما لو فاض من كبدي

إليك لاحترقت من حولك الّدور

ومدح فيها ثقة الدولة فلم يجد عندهما ما يشتهي فخرج عنهما مسارقة

قال ابن رشيق = «ومن ملح ما رأيت له قوله لجعفر حين استاذنه في الرجوع إلى وطنه فعتب عليه وحجبه =

ولما رأيت البدر قمت مسلّما
عليه، وأظهرت الخضوع لديه
وقلت له أن الأمير ابن يوسف
شبيهك قد عز الوصول إليه
فكن لي شفيعا عنده ومذكّرا
إذا جئته تبغي السلام إليه

قال ابن رشيق = «فكتب هذه الأبيات ولقبه بها في منتزه له، فطرب وأعجب بها إعجابا شديدا وأمر له بمال كثير.»

قال = والأبيات ماخوذة من قول ابن الرومي =

بالله يا قمر السما كن
لي لمن أهوى شفيعا

قال = ومن عجيب كلامه قوله =

اتبصر؟ أم أنت لا تبصر؟
هو الحب يجري بما يقدر
تذلل وكن خاضعا خاشعا
فذل الهوى عزك الأكبر
ولا تنكرنّ احتكام الهوى
فأحكامه فوق ما ينكر

إذا عــز دمــع فــاغــر الهــوى
بــه وآبــك، إن الــبــكـا أعــذر
أيــا واحــد الحــسـن أو حدتني
لمــا بي. ولــو كــان لي معشر
يحــامــون دونــي، ولــكــن حمى
فــؤادي ابــيــح، ولم يــشــعــروا
عــزمــت بهــجــري وغــرّقــتــني
بــدمــع يــفــيــض ولا يــقــطــر
وعــايــنــتــني كــيــف أشــكــو الهــوى
كــما يــشــتــكــي فــقــره المــعــسر

قال ابن رشيق = «لله خفة انفاس البغداديين النفسية لم يخنها طبع ولا أعجزتها صنعة. ولو مزج هذا الكلام بكلام العباس بن الأحنف ظريف الشعراء لا متزج به امتزاج الخمر بالماء والنور بالهواء.

ولابن عبدون في ملعب سوسة الروماني وهو مما انشد ابن رشيق =

أين من شاد ذا ومن رفع السمــ
ـك وأعــلاه فــوق مــا يحــتــاج
أين ذاك الملك الشديد الـذي كــا
ن وذاك الــرواح والإدلاج
أيــن تــلــك الخــدور؟ أيــن يــدور
حجبتها الحــبــوش والأعــلاج

أين أربابهم ومن رفع التا
ج على رأسه؟ وأين التاج؟
ضمت الأرض والبلاد عليهم
فطوتهم، وطيّها إدماج
طحنتهم طحن الرحا؟ فإذا الانـ
سان والدهر صخرة وزجاج

التجاني 38.

27) عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسي الكاتب.

لم يذكره ابن رشيق وذكره أمية بن عبد العزيز أبو الصلت في الحديقة وهو تاليفه الذي صنفه في شعراء إفريقية على عهد صنهاجة أنشد له =

هممت بأن تخفي بقايا شبيبة
كغرة ليل أو حشاشة مهذوم
ترى الشعرات السود والبيض حولها
كمثل أسارى الزنج في عسكر الروم

وأنشد له في عود نشاية إتخذ نصابا لمذبة =

لليالي في نقض حالي عظات
حار في وصفها ذوو الألباب
صرت في الخوص بعد لبس الخوافي
واعتمادي بأزرق كالشهاب
بعد ذب الكماة في حومة العـ
ـزّ تنقّلت بي لذب الذباب

وله مما لم بنشده أبو الصلت:

نـــــذرت لله إذا مـــا الـتـقـت
شـفـا هـنـا بـعـد الـنـوى للقبل
صومي على الـراح سوى ما حوى
مبسمها الـعـذب وأراح المقل

وله

عيني دهتني والعين الكحلية مع
عين الرقيب، وأخـذ الناس بالعين
هبني اتقيت عـدوا من لأربعة ؟
ما أجلب العين – مذ كانت – إلى حيني

التجاني 42.

28) التراب السوسي – ذكره العماد الاصبهاني في خريدة االقصر. وأنشد له من قصيدة يمدح بها جبارة بن كامل المتولى على سوسة.

بـــاب بـــالأبـــرق بـــرق يتسامى
فـجـفـا الجـفـن لـــرؤيـــاه المـنـامـا
طـــلـــعـــت رايـــــاتـــــه خـــافـقـة
خفقان القلب أمـسـى مستهاما
بـــذمـــام الحـــــب يـــا بـــرق عسى
لـــك عـلـم حـبّـهـم أعـيـا الأنـامـا
أنـــســـوا عـــامـــا، فـلـما مـلـكـوا
رق قلبي اوحـشـو عـامـا فعاما

واستمالوني بوصل خادع

فكما ملت رأوا وصلي حراما

...ومنها في مدح جبارة =

فإذا أبصرته أكبرته

وإذا خاطبت خاطبت هماما

وإذا إسترخصت في حادثة

فعلى الحادث جردت حساما

وله فيه هذه القصيدة التي أولع أعراب زماننا بإنشادها، وكثرة تردادها. ولذلك نذكرها بكمالها. وأن كان فيه بعض طول فإن الحسن غير مملول =

سلم على ذي سلم

مغنى الهوى المستغنم

وقف بها مسائلا

عن ساكن والخيم

واستمطر العين بها

صوب دموع ودم

فهذه أطلالهم

مند رسات الأرسم

وهذه عراصهم

مستوحشات المعلم

كأنهن أسطر

في كتب لم تفهم

لم تبق منهن الصبا

وواكفات الديم

سوى ثلاث صائما

ت، قائمات جثم

وأشعث مطرّح

بربعها المهدم

أضحت خلاء بلقعا

بواليا كالرمم

لا تسمع الأذن بها

إلا نعيب الأسحم

إلى صرير جندب

إلى عواء ديسم

إلى ضبيح ثعلب

إلى زئير ضيغم

ولا ترى العين سوى

خدرنق مخيّم

وشوذق، ونقنق

ولقلق وشيهم

بعد السرور والمنى

والأمل المتمّم

والغانيات كالدمى

يسجين كل معلم

من أبيض محبر

وأخضر منمنم

وأحمر معتق
وأصفر مسهم
من كل خود كحلت
مقلته بالسقم
جبينها من قمر
وفرعها من ظلم
وقدها من غصن
وخدها من عندم
يلوح في بنانها
وكفها والمعصم
رقم من الوشي في
سلخ أديم الأرقم
تفتر عن مفلج
عذب الثنايا شبم
مفضض مذهّب
مدبّج مرسّم
حلو اللماء وإنما
لحظي جناه لا فمي
من كل رئم مائس
كالغصن المنعم
وصاله من سكر
وصده من علقم
مبتسم عن جوهر
في عسجد منظم

إن ضاء في برقعه
كالمشرفي المخذم

قامت له مدامعي
مقام مهراق الدم

سقيا للذاتي بها
وعيشي المنصرم

أيام كانت لّمتي
مسودة كالحمم

وقامتي قويمة
شبابها لم يهرم

والدهر لم يحط إلى
مساءتي بقدم

فلا نهاني عذّلي
ولا لحاني لوّمي

ثم انقضت بسرعة
أيام ذاك الموسم

كأنّني كنت أرى
عيشي به كالحلم

يا ربع أحباب نأوا
عن مدنف متيّم

أنعم صباحاً واسلم
سقيت نوء المرزم

أن لم أمت من أسف
وحسرة عليهم

كـــذبـــت في دعــــوى الهـــوى
لـــســـت بهـــم بـــمـــغـــرم
كـــأنـــني بـــالـــوصـــل مـــن
أحـــبـــتـــي لم أنـــعـــم
ولم أبـــت ريـــان مـــن
رشـــف عـــقّـــار المـــبـــســـم
في لـــيـــلـــتـــين لـــيـــلـــتـــي
ولـــيـــل شـــعـــر اســـحـــم
مـــا بـــين تـــفـــاح الخـــدو
د الـــعـــاطـــر المـــوســـم
و بـــين رمـــان الـــنـــهـــو
د الارج المـــكـــرم
في فـــرش وثـــيرة
لم تـــفـــترش لـــلـــحـــرم
حـــتـــى تـــولى الـــلـــيـــل في
خمـــيـــســـه المـــنـــهـــزم
وأقـــبـــل الـــصـــبـــاح في
جـــحـــفـــلـــه الـــعـــرمـــرم
كـــأنـــه لّمـــا بـــدا
يـــشرق تحـــت الـــظـــلـــم
وجـــه الامـــير ابـــن الأمـــير
الأكـــرم ابـــن الأكـــرم
جـــبـــارة بـــن كـــامـــل
ســـيـــف الـــنـــدى والـــكـــرم

الفارس الذي إذا
أسرج كل شيظم
وسل كل مرهف
وطرّ كلّ لهذم
وأضرمت نار الوغى
وفر حامي الحرم
وأشفق الأبطال من
وقع القنا المقوّم
وحشرجت نفس الجبا
ن من كريه المقدم
وافى على ظامي الحشا
عبل الشّواء مقرم
من الهلال مسرج
من الثريا ملجم
من الضحى محجل
من الصبا مجسم
مقلدا بصارم
عنب المضاء مخذم
ثم انثنى يسبح في
بحر الردى الملتطم
فاجفلوا أمامه
بعضا على بعضهم
كأنه ضياغم
سطت بسرب الغنم

حتى إذا الليل دجا
وانهل صوب الدّيم
ووعوع السرحان من
طول الطوى المخيم
وجئت معترّا إلى
منزله في العتِم
ألفيته خير فتى
طرقته في الظلم
يلقاك من قبل الندى
بالبشر والتبسم
إلى كريم خيمه
سمح، وفيّ الذمم
أراؤه في الحادثا
ت نفّذ كالأسهم
وحلمه أمنع من
رضوى لكل مجرم
وحلمه أحسن من
برء بإثر السقم
نما به إلى الفعا
ل، والمقام الأعظم
صيد من العرب الألي
كانوا ملوك الأمم
وكانت الأرضِ أرتوت
منهم بجود، ودم

مـــن ديـــــر ســـمـــعـــان إلى
نـــجـــد بـــــــوادي إضــــــــم
بـــجـــانـــبـــي وادي الـــقـــرى
فـــــالـــــدوح مـــن ذي ســلـــم
ثـــم انـــقـــضـــوا وذكـــرهـــم
كـــالـــشـــهـــد في كـــــل فـــــم
مـــن بـــعـــدمـــا أوصــــو بيـنــ
هـــم مـــكـــرمـــا مـــــن مـــكـــرم
بـــالـــصـــبر في وقـــــت الـــوغـــى
والـــــكـــــفّ عـــنـــد المـــغـــنـــم
فـــجـــــاء يـــقـــفـــو مجـــدهـــم
وحـــســـن تـــلـــك الـــشـــيـــم
يـــــا حـــاســـديـــه انـــتـــبـــهـــوا
مـــن رقـــــــدة الـــتـــوهـــــــم
اتـــــطـــــمـــــعـــــون في عـــلا
قـــــد حـــــازهـــــا، أو هـــم
كـــــلا ولـــــــــو رقـــيـــتـــم
إلى الـــــســـــما بـــســـلـــــم
أبــــــا عـــــنــــــان زد عـــلا
عـــلى محـــــلّ الأنـــجــــــم
أقـــســـمـــت بـــالـــبـــيـــت الحـــرا
م والـــصـــفـــا وزمـــــزم
لأنـــــت مـــن بـــعـــد الـــنـــبـــي
ء المـــصـــطـــفـــى المـــكـــرم

وآلــــــه وصــحــبــــــه
أهــل الـــوفــا والــذمــــــم
أجـــــل مـــن تحــت الـسـما
ء مـــن جمـــيـــع الأمـــــم
لـــو كـنــت يــا ابـــن الأكــرمــيـ
ن في الـــزمـــان الأقـــدم
لا نـــزلـــت في فـضــلـك الــ
مـــكـــمـــل المـتـمـــــــم
مـــفـــصـــلات ســـور
مـــن الــكـــتـــاب المـحـكـم
أنـــت الـــذي لـــو لم أكـــن
مـــن عـــــزّه في حـــرم
مـــا قـــلـــت لـــلـــدهـــر الـظـلـو
م، الجـــائـــر المـــحــتــكــم
يـــا دهـــر أن شـئـت فـصـل
حـــبـــلى، أو شـــئـــت أصرم
وإن تـــشـــا لـــن واسـتـقـم
وأن تـــشـــا جـــر وأظـــلـم
فـــما أبـــالـــيـــك ولا
الـــقـــاك كـالمـسـتـسـلـم
أنـــي مـــن إبـــن كـــامـل
ذي الـــبـــاس والـــتـــكـــرّم
في ظـــل ســـيـــف مـــرهـــف
ونـــائـــل مـنـسـجـــــم

وعزة قد خيّمت
بين السهى والمرزم
قد رفعت من الثرى
إلى الثريا قدمي
فالنجم لي مجالس
كأنه من حرمي
والسعد لي مساعد
كأنه من خدم
هو الذي لو أمه
كل الورى لم يسأم
ولو سخا بنفسه
لسائل لم يندم
علمني الجود بما
قلدني من أنعم
فرحت والدينار في
يدي مثل الدرهم
فإن غدوت مادحا
لغيره من عدم
فجائز ضروة
على حدود الحرم
كالماء أن عدمته
صليت بالتيمم
لا جعلن ما حييـ
ـت ذكره شغل فمي

وأن أمت فشكره

في القبر شغل أعظمي

لا زال طول عمره

مؤيدا بالعصم

مستمسكا عن سعده

بعروة لم تفصم

ربوعه مأهولة

بسابغات النعم

وسمره محمرّة

من العداة بالدم

ما أومضت بوارق

في جنح ليل مظلم

وما شدت حمائم

على فروع السلم

التجاني 43 - 52.

ومن رجال العصر الحفصي الموحدي - 607 - 985 هـ.

29) أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي. قديم المولد. ولد بسوسة في آواخر الدولة الصنهاجية. سنة 537 هـ. وكان يسمى ملحق الأباء بالأبناء لطول أمده، وقدم مولده. ونشأ بسوسة في طلب العلم والأدب فحصل على الغاية.

توفي بتونس في 22 ذي القعدة سنة 662 هـ.

ولأبي عبد الله شعر حسن، والموجود منه قليل.

أنشد له ابن سعيد في خزانة الأدب.

عكفنا على الكأس في جنة
نحاكي بها ميل أغصانها

ورسل النسيم بها سحرة
تحرّش ما بين ريحانها

أظن تغاريد ألحانها
زهتها فاصغت بآذانها

وله من بداية قصيدة يمدح بها الشيخ أبا محمد عبد الله ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص =

جردت عزمك صارما مسلولا
ماء، ولكن ما يبلّ غليلا

وقال يخاطب بعض الرؤساء وقد قدم له فرس أشهب حديدي لركوبه =

أركب بإقبال السعادة أشهبا
مثل الصباح إذا يشوب الغيهبا

ما شاب من مر السنين وإنما
لاقي سناك فلاح يحكي الأشيبا

قد الجموه بالثرا فانهوى
ينقض في ليل العجاجة كوكبا

(التجاني 52، محمد النيفر = عنوان الاريب ج 1 ص 61)

30) حسن الهدة. عالم سوسة وفقيهها أخذ عن الشيخ محمد جعيط والشيخ محمد زيتونة وغيرهما. ولي الفتيا والتدريس بسوسة. كان حيا بعد 1180. مخلوف رقم 1395.

31) محمد الهدة = محمد بن حسن الهدة. قرأ بسوسة وتونس ومصر. له تأليف منها حاشية على مختصر السعد. توفي 1199.

مخلوف 1396.

32) محمد بن علي بن عبد السلام السقا الاسكندري ثم السوسي. ولد 1150. وكان من العلماء الأخيار. ودرس بسوسة وولي قضاءها. توفي سنة 1218.

مخلوف 1455.

33) ابنه محمد كان عالما فاضلا. توفي 1229.

مخلوف 1456.

34) أبو الحسن علي ابن السابق. ولد 1200 توفي 1260.

مخلوف 1457.

+ ابن أبي الضياف.

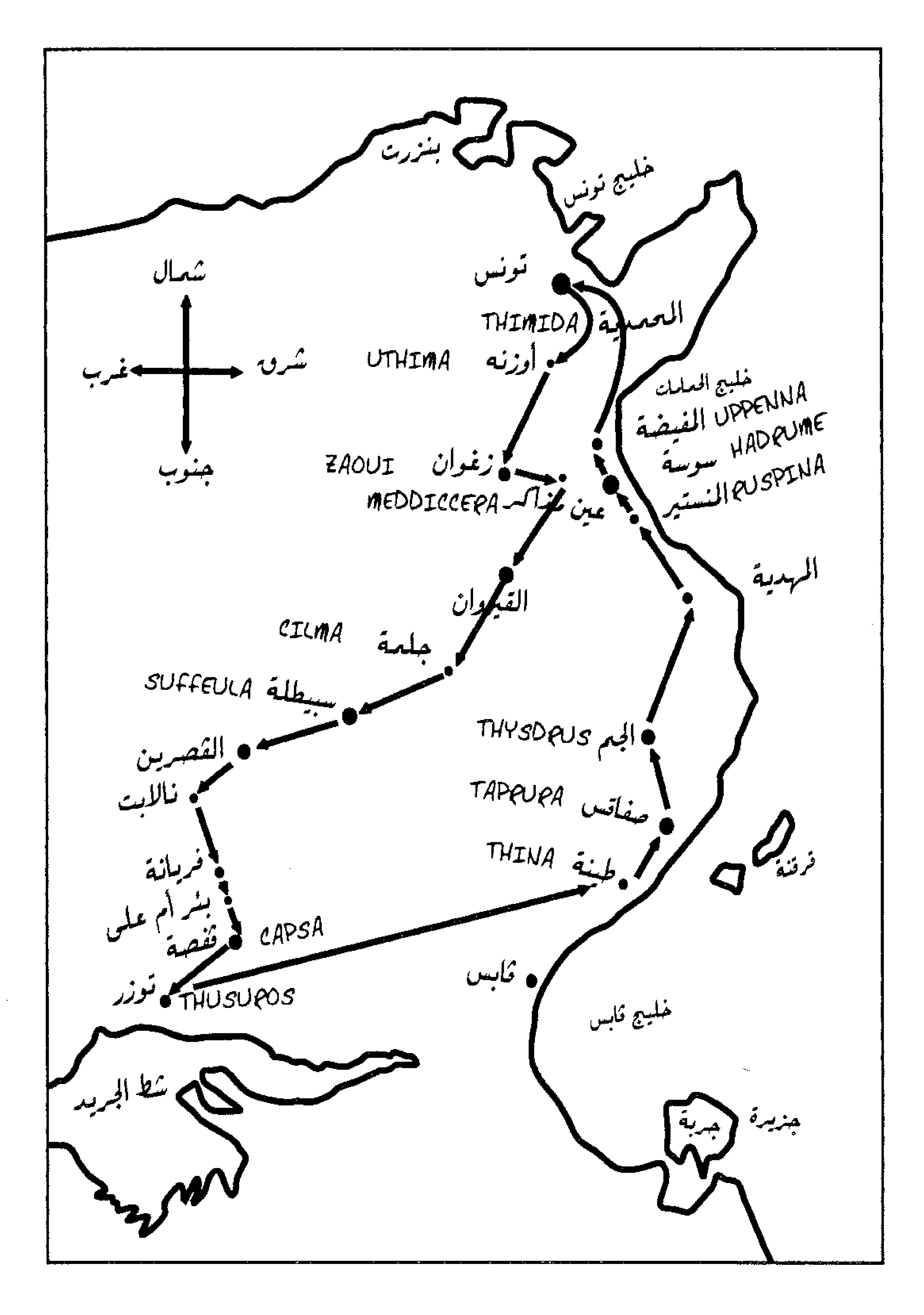
35) مصطفى رضوان. عالم سوسة وأديبها. كان شاعرًا فلكياً رياضياً مترسلاً. الشيخ محمد النيفر عنوان الأريب ج 2.

وأدباء سوسة في العصر الحاضر كثيرون بين شعراء ومسرحيين وقصاصيين وكتاب.

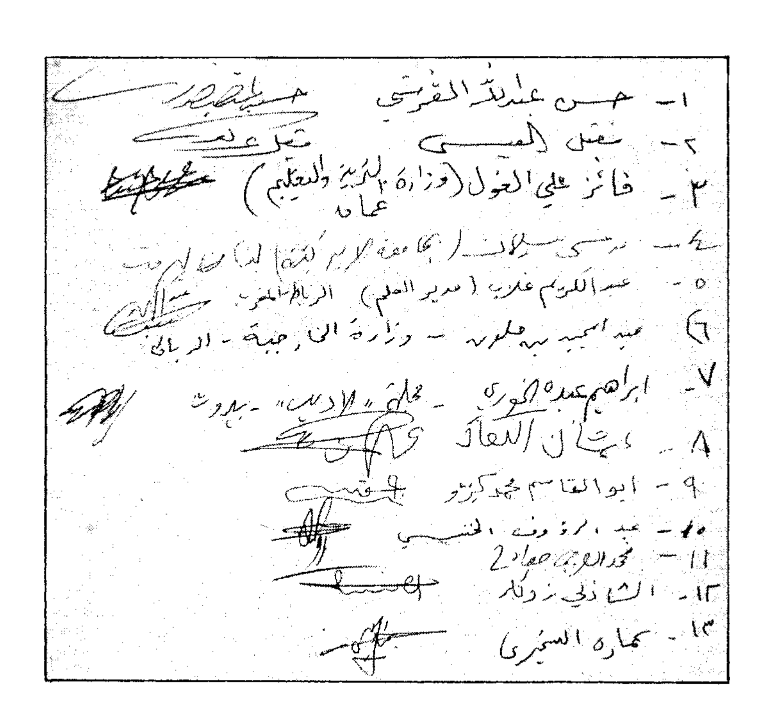
س – 18،30 – الرجوع إلى الحاضرة.

الملاحق






مسلك الرحلة على خريطة تونس



١ - حسن عبدالله القرشي
٢ - [illegible]
٣ - فائز علي الغول (وزارة التربية والتعليم عمان)
٤ - [illegible] (الجامعة [illegible]
٥ - عبدالكريم غلاب (مدير العلم) الرباط - المغرب
٦ - عبدالمجيد بن جلون - وزارة الخارجية - الرباط
٧ - ابراهيم عبده الخوري - مجلة "الأديب" - بيروت
٨ - عثمان العائد
٩ - ابو القاسم محمد كرو
١٠ - عبد الرؤوف الخنيسي
١١ - محمد العربي صمادح
١٢ - الشاذلي زوكار
١٣ - عماره السمري

امضاءات المشاركين في الرحلة

الفهرس



١- حسن عبد الله القرشي
٢- شفيق [illegible]
٣- فائز علي الغول (وزارة التربية والتعليم) عمان
٤- موسى سليمان (الجامعة الأمريكية) لبنان بيروت
٥- عبد الكريم غلاب (مدير العلم) الرباط - المغرب
٦- عبد المجيد بن جلون - وزارة الخارجية - الرباط
٧- ابراهيم عبده الخوري - مجلة الأديب - بيروت
٨- [illegible]
٩- ابو القاسم محمد كرو
١٠- عبد الرؤوف الخنيسي
١١- محمد الهادي [illegible]
١٢- الشاذلي زوكار
١٣- عماره [illegible]

توقيعات بعض ممّن شاركوا في ثلاثينيّة الشابي

ISBN: 978-9973-05-354-1



الثمن : 7,500 د.ت
الإيداع القانوني الثلاثية الرابعة 2009



مطبعة التسفير الفني
Imprimerie Reliure d'Art
Tél.: +216 74 432 030 - Fax: +216 74 432 248